الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: نقد أدبي حديث ومعاصر

المـــــوضـــوع:

النّسق الحضاري في شعر الأمير عبد القادر الجزائري

إعداد الطّالب: محمد عليان
إشـــراف: أ/د.عبد القادر بن عزّة

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	أحمد دكّار	رئيسا
أ.الدكتور	نور الدّين قدّوسي	مناقشا
أ.الدكتور	عبد القادر بن عزّة	مشرفا ومقرّرا

العام الجامعي: 1445/1444هـ/2024/2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بكلّ امتنان وعرفان، أتوجه بالشّكر الجزيل لكلّ من ساندني ومدّ لي يد العون...

وأخصّ بالذكر والدي الكريمان، إلى أمي (رحمة الله عليها) التي رحلت على أصابع قدميها من دون كلمة وداع، تاركةً في قلبي حزنًا عميقًا وفراغًا لا يُملأ، رحلت وكان رحيلها شبيها بتلكم الدراما التي دائما ما تنتهي بموت البطل ويتم بعدها إخلاء مكان التصوير.

شكرًا أمي الغالية على كلّ ما قدّمته لي من رعايةٍ وحنانٍ وعطاءٍ بلا حدود، وعلى كلّ ما غرسته فيّ من قيمٍ ومبادئ جعلتني ما أنا عليه اليوم. لكِ أُهدي كلّ إنجازٍ أحققه، وكلّ نجاحٍ أعيشه، وكلّ خطوةٍ أتقدّم فيها على طريق الحياة.

أفتقدكِ كثيرًا، وأتمنّى لو كنتِ حاضرةً معي في هذه اللّحظة لأشاركِ فرحتي وسعادتي. أعلم أنّكِ تفخرين بي وأنت في عليائك، وهذا ما يُعزّي قلبي ويُخفّف من حزني.

كما أتوجّه بِخالصِ الشّكرِ والتّقديرِ إلى جميعِ أساتذةِ قسمِ اللّغةِ والأدب العربي الذين حظيتُ بشرفِ التعلّمِ منهم خلال مسيرتي الدّراسية.

أشكرُهم على صبرِهم وتفهّمِهم، وعلى ما قدّموه لنا من دعمٍ وتوجيهٍ خلال مسيرتنا الدّراسيةِ.

وأَتوجه بخالص شُكري وتقديري إلى شريكة الحياة ورفيقة دربي المستقبل القريب بإذن الله.

شُكراً لكِ على وجودكِ في حياتي، وعلى كلّ ما تُقدمينَهُ من محبّة ودعمٍ واهتمام.

وممتنٌ لله لوجود أخي وأختي وعمّتي في حياتي، فهم المحبة والدّفء فشكرا لهم شكرا

يطول شرحه.

مقدّمة

يُمثّـلُ الشّـعرُ ذاكـرةً حيـةً تُخلّـدُ ثقافـاتِ الحضـاراتِ عـبرَ الأزمنـةِ، ويُجسّـدُ أفكـارَ الشـعوبِ ومشاعرَها، ويُعبّرُ عن قيمِها وتقاليدِها، ففي ثناياه نجدُ انعكاسًا لِروحِ العصرِ وثقافتِهِ، ونسجًا غنيًا لِأفكارِ النّاسِ ومعتقداتِهم، ونظرتِهم إلى الحياةِ من حولِهم.

بناءً عليه، يُؤثّرُ النّسقُ الثقافيّ الذي نشأَ فيهِ الشاعرُ وتربّى عليهِ بشكلٍ كبيرٍ على خيالهِ. فَمِن خلالِ هذا النّسقِ، يُكوّنُ الشّاعرُ نظرتَهُ إلى العالمِ، ويُشكّلُ أفكاره ومشاعره. وتظهرُ تأثيراتُ النّسقِ الثّقافي على خيالِ الشّاعرِ في مختلفِ جوانبِ إبداعه.

وهذا ما يحيلنا على النّقد الثّقافي، كأداةٍ منهجيةٍ غنيّةٍ، لكشفِ الأنساقِ الثّقافيّةِ المهيمنةِ التي تُشكّلُ بنيةَ النّص وتُؤثّرُ على معناه، وإظهارِ كيف تُمارسُ هذهِ الأنساقِ لعبةَ الخفاءِ والتّجلّي في النّص وكشفِ المضمراتِ الخفيّةِ والرّسائلِ التي يُريدُ إيصالَها.

وإدراكًا منّا لأهمّيةِ الأنساقِ الثّقافيّةِ في بناءِ المعنى وتشكيلِ التّجربةِ الشّعريةِ، ووعيًا منّا بِما يُمثّلهُ شعرُ الأمير عبد القادر منْ قيمةٍ أدبيّةٍ وفكريّةٍ عاليّةٍ، ارتأينا خوضَ غمارِ البحثِ في الموضوع الموسومِ: "النّسق الحضاري في شعر الأمير عبد القادر الجزائري".

فالبحث يطرح إشكاليّةً جوهريةً تتمثل في الكشف عن الأنساق الحضارية المتجسّدة في شعر "الأمير عبد القادر،وكيف أثّرت الأحداث المحيطة بالأمير عبد القادر على تجربته الشعرية؟.

ورغبةً منّا في استكشاف جوانب جديدة لموضوع بحثنا، أثرنا جملة من التّساؤلات الجوهرية التي تستدعي التّحليل والتّعمق، منها:

ـ محاولة تحديد علاقة الحضارة بالثّقافة؟

– كيفية مساهمة تجربة الأمير عبد القادر، الشخصية والإنسانية، في تشكيل تجربته الشّعرية؟

-ما هي أبعاد الأنساق الحضارية المتجسّدة في شعر الأمير عبد القادر؟

- الوقوف على أهم القيم والمبادئ التي تمثّلها هذه الأنساق الحضارية؟

وحرصا منّا على الإجابةِ على هذهِ التساؤلاتِ بشكلٍ علميٍّ مُنظم؛ أعددنا خطة بحثية مدروسة تتبع مسار البحث وتوثق تطور أفكاره وتَشُعُّبَاتِهَا. وتتضمن هذه الخطة مقدمة وفصلين وخاتمة.

خصصنا الفصل الأول لعرض الإطار النظري للموضوع بعنوان: «الأمير عبد القادر الجزائري رحلة حياة» سعينا من خلاله إلى تقديم عرض مفصّل للعناصر التي تم اختيارها، من خلال شرحها وتوضيحها، وركز الفصل الثّاني على الجانب التّطبيقي، بعنوان: «دراسة تطبيقية للنّسق الحضاري

في شعر الأمير عبد القادر» استخرجنا فيه ما توصلنا إليه من أنساق وتحليلها وتقديم شرح مفصل لها، وعرضها بطريقةٍ علميةٍ مُقنعةٍ.

واقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام آليات منهج النّقد الثّقافي بالتّضافرِ مع المنهجين الوصفي والتحليلي لفهم الموضوع بشكل شامل ودقيق.

- هذه الدراسة تسعى بتواضع، وبشكل إيجابي في إثراء المعرفة الأدبية والثقافية.

- من خلال هذه الدراسة، نستطيع اكتشاف الجوانب القيّمة التي يتميز بها شعر الأمير عبد القادر، مثل وطنيته وإنسانيته ودينه وأخلاقه وأدبه.

ولاختيار الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية نذكر منها مايلي:

أسباب ذاتية:

- توجيهات المشرف للخوض في المدوّنة الشّعرية للأمير عبد القادر.
- الميل إلى الدّراسات النّقدية، مع تركيز خاص على تحليل الشعر العربي الحديث.

- تنمية مهارات التفكير النّقدي بتحليل المعلومات وتقييمها بشكلٍ موضوعي.
- جعل هذه الدّراسة نقطة انطلاق وحجر أساس لدراسات معمّقة مستقبلا في دواوين شعرية، مع فتح المجال أمام اكتشافات جديدة.

والأسباب الموضوعية تتمثّل في:

- القيمة الأدبية والجمالية للموضوع.
- تشويه صورة الأمير من خلال نشر الأكاذيب والافتراءات عنه، واتّهامه بالخيانة والتواطؤ مع العدو.
- يُعدّ شعر الأمير من أهمّ مكونات الإرث الحضاري الجزائري، ودراسته تُساهم في حمايته من الطمس والتغييب.

وتُعدّ الأهداف جوهر أيّ بحث أو دراسة، إذ تُحدّد مساره وتُوجّه جهوده. ونظرًا لذلك، فقد سعينا من خلال هذا البحث إلى تحقيق أهدافنا المتمثّلة في:

- كشف الدّلالات والمعاني المضمرة في شعر الأمير عبد القادر التي قد لا تظهر بوضوح للقارئ العادي.

- إبراز القيمة الأدبية والفكرية لشعر الأمير عبد القادر، وفهمه كظاهرة أدبية مُتّصلة بسياقها الحضاري والثّقافي.

- التّعرف على الأمير عبد القادر، من خلال شعره، وقيمه، ومبادئه، وأفكاره، وتجاربه، واكتساب فهم أعمق لشخصيته ودوره في التّاريخ.

ويمكن الإشارة إلى بعض الدّراسات النّقدية التي تقاطعت مع موضوع بحثنا:

- حضور النّص الغائب في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، محمدي نوال، بحث مقدّم لنيل درجة الدّكتوراه في النّقد العربي.
- التّقليد والتّجديد في شعر الأمير عبد القادر، نذير بوجله، رسالة لنيل شهادة الماجستير.

- الأنساق المضمرة في ديوان (الحرف المضاء) لناصر اسطمبول. عبدلي سامية، العيد ربيعة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر.

وفي سعينا إلى جمع المادة المعرفية، وبهدف إثراءِ هذا البحثِ وتدعيمِ أركانِهِ المعرفيةِ، استعنّا بمصادرَ ومراجعَ متنوعةٍ وشاملةٍ. وقد تفاوتت قيمةُ هذه المصادرِ من حيث ثرائها المعرفي وأهميتها في سياق البحث؛ تمثلت في:

- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري.
- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى.
- ناصر الدّين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر.
- عبد الرزّاق بن السّبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه.
- أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري.

وقد واجه مسارُ بحثنا، كأيّ مسارٍ علمي... جملةً من التّحدياتِ التي لم تُثنِ عزيمتنا عن مواصلةِ البحثِ والتّنقيبِ. من أبرزِ هذه التّحدّياتِ انعدام الدّراساتِ المعمقةِ حولَ "النسق الحضاري في شعر الأمير عبد القادر". صعوبةُ تحليلِ نصوصِهِ الشّعريةِ، خاصةً تلك التي تتضمّن إشاراتٍ رمزية أو معقّدة، تتطلّبُ مهاراتٍ عاليةً في التّحليلِ الأدبي وفهمِ السّياقِ التّاريخي. ناهيك عن ضيقِ الوقتِ الذي واجهَنَا في رحلةِ البحثِ هذه.

ولكن لم تُثنِنا هذهِ العقباتِ والصعابُ عن المضيّ قُدمًا في رحلةِ بحثِنا، بلْ زادتْ من إصرارِنا وعزيمتِنا على خوضِ غمارِ هذا البحث، إيمانًا راسخًا منّا بأهميةِ هذا العملِ وضرورةِ إنجازِهِ على أكملِ وجهٍ.

وختامًا، نرفعُ أسمى آياتِ الشكرِ والتّقدير للأستاذ الدّكتور **"عبد القادر بن عزّة"**، شاكرينَ لهُ من صميمِ قلوبِنا جهوده ودعمه المتواصل لنا، فقد كانَ-بعد اللّه- خيرَ سندٍ لنا وعونًا خلالَ مسارِ البحثِ، ولم يبخل علينا يومًا بالعلمِ والنّصيحةِ، فجزاهُ اللهُ عنّا خيرَ الجزاءِ.

هذا، ولا يكتملُ بحث إلّا بشكرِ اللهِ تعالى على ما وفّقنا إليه من إنجازِه؛ راجينَ منهُ أنْ يُسدّدَ خطانا في مسيرتنا العلميةِ، وأنْ يُعينَنا على خدمةِ العلمِ والمعرفةِ، وأنْ يُحقّقَ لنا ما نَصبو إليهِ من خيرٍ ونجاحٍ، وأن يكون سعينا مشكورا. والصلاة والسّلام على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

"عليان محمد" (**2024/04/21**)

الفصل الأول: الأمير عبد القادر الجزائري رحلة حياة

- ✓ **أوضاع الجزائر قبل مولد الأمير عبد القادر**
  - **قبيل الاستعمار**
  - **بداية الاستعمار**
- ✓ **الأمير عبد القادر قائد أمّة**
  - **مولده**
  - **نشأته**
  - **بيئته الاجتماعية**
  - **تعليمه**
- ✓ **الأمير عبد القادر قائد أمّة**
  - مبايعته
  - قيام دولته
  - بداية النهاية لدولته
- ✓ **شبهات طالت شخصية الأمير من طرف الفرنسسين**
  - **الأراء المؤيدة**
  - **الأراء المعارضة**

تمهيد

ارتبط حاضر أيّ أمة بشكل أو بآخر بتاريخها...فهو جزء لا يتجزأ من شخصيتها، وليس مجرد أحداث ماضية منعزلة، ويعتبر الحافز الرئيس لتكوين الشّعور بالإنتماء، وقد يلجأ المستدمر في المقابل إلى تشويه التّاريخ لتزوير الهوية.

كان« **هناك من بين أمم الدّنيا أمّة عريقة ظلّت مدة قرون ثلاثة متوالية سيدة البحر الأبيض المتوسط ؛ وكانت الخصم اللّدود لقوى الشر ؛ وكانت الحكم العادل بين الخصماء ؛ وكانت كلمتها القول الفصل ، كما كانت بحريتها الفيصل ؛ وكانت سفن وأساطيل العالم تقترب من ميناء عاصمة تلك الأمة بعضها بثقة واطمئنان ، وأخرى بوجل وتردّد ، أمام هيبة تلك العاصمة التي كان يتردّد اسمها بصدى مدوّ بالغ، ووقع شديد بليغ ، وهي تطلّ من عليائها شامخة ناصعة ، بمآذنها وشرفات قلاعها ، على مينائها الذي يرمز تلاطم الأمواج فيه لذلك البحر ، وهو أشبه ما يكون ببركة مضطّربة، يبتلع فيها السّمك القوى الضخم السمك الضّعيف الصغير!**[1]» إنّ قرونا ثلاث من الوجود البارز لهذه الأمة...ومظاهر التميّز في شخصيتها وعراقتها الضاربة في القدم، تأكدّ أكثر بالاستمرار في الحفاظ على تلك الهيبة والهيمنة التي توحي بالقوة فقد «**كانت تلك الأمّة من أولى الأمم التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776م، وعقدت معها معاهدة سلم وصداقة يوم 5 سبتمبر 1795م، تبعتها معاهدتان**

أخريان؛ كما كانت أول أمة في الدنيا بدون أي استثناء، اعترفت بالجمهورية الفرنسية الأولى؛ وأقرضت حكومة الثورة الفرنسية قرضا مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات الذهبية، بدون فائدة؛ كما أنقذتها من المجاعة، بأن أمدتها، أيام حروب تلك الثورة، ثم أثناء حروب نابليون، بقرض آخر لشراء القمح في بلد تلك الأمة، بدون فائدة أيضا؛ وعقدت معها سبعين معاهدة واتفاقية

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة، 2007، ص29.

كما حمتها مرارا من الغزو الخارجي، بل وحتّى من التفتّت والتّمزّق الدّاخلي، إذ استنجدت فرنسا مرارا، وفي مختلف عهودها بتلك الأمة، من فرانسوة الأوّل، إلى ابنه هانرى الثّاني، إلى لويس الرّابع عشر، إلى حكومة الثّورة، و إلى نابليون بونابارت[1]» وممّا لاشكّ فيه أنّ هذه المرونة التي تتصف بالإنسانية والتعاطف هو ما تميزت به هذه الأمة «**التي اضطرت أمريكا ذات يوم بل طيلة سنوات عشر ! – إلى أن تسعى لدى أغلب دول أوروبا في ذلك العصر . ومنها روسيا القيصرية – لتقنعها بالانضمام إلى كتلة أوروبية – أمريكية ضدها! وعندما لم ينفعها كل ذلك، لجأت إلى الخلافة العثمانية، علها تمارس ضغطا على تلك الأمة، طالبة منها الوساطة لديها؛ ولما لم يجدها ولا ذلك أيضا، رضخت في النهاية لشروط تلك الأمة، وهي مكرهة صاغرة ! فمن هي تلك الأمة ، يا ترى** [2]؟»

إنها تلك التي زعم المؤرخ سودرون «**بأنّ الجزائر عام 1830، لم تكن تشكل دولة، فما بالك بأمة وانه لم يكن لها حدود، ونفس الزعم يردده ر – أرون، الذي يقول بأن "الجزائر حين وصل الفرنسيون لم يكن قطرا مستقلا" أما الكاتب بوسكي، الذي كان معروفا بآرائه الاستعمارية فقد قال بأنه كان للجزائريين عام 1830، وطن "لا يشكل تاريخيا واجتماعيا أي شيء" كما كتب الجنرال كاترو، الذي كان ممثل الفرنسي في الجزائر عام 1943، يقول بأنه لم يكن للجزائر "أبدا لا وحدة ولا شخصية سياسية**[3]» هذه المزاعم، وهذا الادّعاء الظالم ما هو إلاّ محاولة لإيجاد أسباب للوجود الفرنسي وتبرير السياسة الفرنسية...وهذا يستدعي بنا إلى تحديد معالم الدّولة الجزائرية في طابعها العام قبيل الاحتلال الفرنسي.

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ص29.

[2]-المرجع نفسه، ص29.

[3]-حورية ومان، معالم وجود الدولة الجزائرية وهيبتها قبل الاستعمار الفرنسي 1518-1830، مجلة الحكمة للدّراسات التاريخية، المجلّد8، العدد رقم01-جانفي 2020-ص63.

ما قبل مولد الأمير عبد القادر

1- وضع الجزائر قبيل الاحتلال

«كانت الجزائر أقوى دول المغرب الإسلامي وذلك يعود إلى كبر مساحتها وسواحلها إلى كبر مساحتها وطول سواحلها وغنائها الاقتصادي ووفرة تجارتها ورواجها وامتداد دواخلها الى قلب القارة فيما وراء الصحراء، وكانت علاقتها مع الخارج على أوسع المدى وكلمتها أكثر تأثيرا في الحرب والسلم، وقد قد اكسبها هذا الوضع صفة الزعامة على سائر نيابات المغرب، وهو ما جعل الكثير من الدول الاوربية تعترف لها وأخذت تدفع لها الضرائب والهدايا أكثر مما كانت تدفعه لتونس والمغرب، بعد استقلالهما في القرنين 17 و 18م وأصبحت تهابها وتبرم معاهدات سلم معها حتى تتجنب غضبها ونقمتها[1]»

وقد استطاعت الجزائر– التي كانت ترهب دول أوروبا – الحفاظ على هيبتها وفرض قانونها بفضل اقتصادها الجيد وموقعها الجغرافي وبحّارتها الشجعان، هذا «**الموقع الجغرافي والاستراتيجي الهام للجزائر قد فرض عليها بناء قوة بحرية وبرية قادرة على التأثير في العلاقات الدولية، إضافة الى امتلاكها للإمكانيات المتنوعة في المجال الاقتصادي فإنها جعلت أوروبا في تبعية لها على الرغم من وجود اضطرابات بين الطرفين. وعلى هذا الأساس فقد عرفت العلاقات الجزائرية الأوروبية نموا وتطورا لاسيما في المجالين السياسي والاقتصادي، حيث نجد ان بريطانيا وحدها عقدت مع الجزائر سبعة وعشرين (27) معاهدة[2]»**

«وإذا قارنا بين دول العالم يومئذ، طيلة قرون 16و17و18رأينا أن البلاد الجزائرية كانت خلال ثلاثمائة سنة (1530م–1830م) من أحسن بلاد العالم نظاماً ورفاهية وأمناً وعدلا...

[1]- بن ساسي سميرة وحمداوي فتيحة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وبريطانيا خلال القرن الثامن عشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون- تيارت-،2016-2017م، ص42.

[2]- بن ساسي سميرة وحمداوي فتيحة، المرجع نفسه، ص 42.

كانت وارداتها التجارية واسعة جداً. وكانت صناعاتها المحلية ذات شهرة ذائعة في أغلب جهات العالم، وكانت مزارعها غنية منتشرة تفيض على الأمة بالخير والبركات، فكان تصدير الفواكه والحبوب، والزيت، والأصواف، من أهم نشاط البلاد[1].»

«على أن المصدر الرئيسي لودائع الخزينة يتمثل أساسا في غنائم الجهاد البحري وما يتعلق بالنشاط البحري من فداء الأسرى وأخذ الإتاوات. والجهاد البحري، أو كما يسميه المؤرخون الغربيون «القرصنة» والذي سوف نتطرق إلى أحداثه الحربية وعملياته العسكرية في نقطة أخرى، كان يوفر للخزينة لاسيما أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر مداخيل طائلة.[2]»

«يقولون لنا اليوم مغالطين، انظروا كيف هو حال الجزائر اليوم، وانظروا كيف هي كانت قبل 150عاماً!

ونقول لهم: بل قارنوا بين حالة القطر الجزائري، وحالة بقية بلاد العالم، قبل 150عاماً. فأيام كان الجهل والظلم وجبروت الإقطاع وقسمة الناس بين سادة وعبيد يسود بلاد العالم الأوربي، كان قطر الجزائر يعتبر مثالا من أبدع أمثلة العدل والحرية والتسامح وحفظ كرامة الإنسان. ثم نقول لهم: أن قطر الجزائر كان في تلك العصور ملكا لكل أبنائه، وكانت أرضه متاعاً لمزارعيه[3].»

يضاف إلى هذا الرقي الإنساني في تعميق مشاعر المحبة والتسامح... التنافس في أعمال الخير والأوقاف «**لقد كان الجزائريون طيلة مدة الجمهورية الجزائرية العثمانية، يتبارون أتراكا وعربانا في أعمال الخير المختلفة والمتنوعة، فكانت أعمال الخير تشمل الأوقاف الطائلة على المساجد والمدارس والمنشآت العامة، وكانت دور العلم عامرة، وحلقات الدروس خاصة**

[1]-أحمد توفيق المدني، هذي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، 1956م، ص72.

[2]-ناصر الدّين سعيدوني والشيخ مهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص29.

[3]-أحمد المدني توفيق، مرجع سابق، ص 73.

بالطلاب في كل مساجد المدن الكبرى. أما التعليم الابتدائي فكان. يلقن في ثلاثة آلاف «كتاب» أو مدرسة ابتدائية[1].»

«أما الكتاب فهو عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه أو غرفة في منزل، وقد خصصت لتعليم القرآن والقراءة والكتابة، والكتاتيب التي تعلم القرآن لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى...

إن الولاة العثمانيين كان لهم تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي، لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة.[2]»

«فالجمهورية الجزائرية التى تألق نجمها ساطعاً خلال ثلاثة قرون، ولم يكن بها من الجند التركى إلا زهاء ثلاثة آلاف رجل (3000) لا غير، كانت حلقة من تلك السلسلة الاستقلالية الذهبية التي صاغها الجزائريون بجهادهم ودمائهم ومهجهم، واستمرت من يوم أسسوا دولة بني رستم، إلى يوم انهيار مقاومة الأمير عبد الله القادر الهاشمى[3]»

«الأمة الجزائرية لم تعد بحاجة إلى الاستدلال على وجودها دوما ومنذ القديم" فتاريخها ينطق وينطق معه تاريخ الدّول الغربية وخاصة الاستعمارية منها، التي تقرّ بأن سفن دول كفرنسا

[1]- أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، المرجع سابق، ص73.

[2]-مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني1518-1830، مجلّة الدّراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، المجلد5، العدد16، نيسان 2013م، ص435.

[3]- أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، مرجع سابق، صص 85،86.

وأمريكا كانت تدفع للأسطول الجزائري مقابلا ماديا لعبور أعالي البحر الأبيض المتوسط، فكيف يمكن التنكير لأمة كانت سيدة حتى خارج مجالها الجغرافي[1]؟»

«فهل تستطيع فرنسا الاستعمارية الجبارة الطاغية، أن تمحو بجرة قلم تحت حكم السيف والنّار كل هذا التّاريخ، وتحطم هذه التقاليد المتأهلة منذ عهد يوغورطا وتدّعي أنّ الجزائر، بحكم الفتح، جزء من فرنسا؟ وأنّ الجزائريين لاحق لهم في وطن، ولا في جنسيته، ولا في علم، إنّما هم قوم من الفرنسيين؟ هذا الأفك المبين، وهذا الادّعاء الظالم، هو ما قامت الأمة الجزائرية ضده، منذ ١٢٥ سنة، ترده خالصة بحراً من دم الشّهداء، مقدمة مواكب من أرواح الضحايا، في جهاد اشترك فيه الأجداد، والآباء، والأحفاد، إلى أن ينهى عار الاحتلال، وترتفع أعلام الاستقلال، بواسطة الثورة الكبرى، وجبهة التحرير الوطني الجزائري[2]»

2- الجزائر بداية الاحتلال

- حادثة المروحة

«تضخمت الديون التي في ذمة فرنسا نحو شركة بوخريص وبوشناق، الى درجة دفعت أصحاب الشركة الى التلويح للوزير الفرنسي الداهية تاليران وللقنصل الفرنسي في الجزائر ديفال بإعطائهما نصيباً من الديون ان نجحا في حمل الحكومة الفرنسية على تسديدها.

وقد تدخل بالفعل تاليران في القضية، وحمل الحكومة الفرنسية على تسديد الديون. لكن فرنسا دفعت عدة أقساط الى عائلة بوشناق وبوخريص (الذي تجنس بالجنسية الفرنسية في هذه الفترة وأصبح يدعى باكري) دون أن تدفع شيئاً إلى الخزينة الجزائرية، وأبقت نصيباً

[1]-بوزبوجة أحمد، إشكاليّة الهوية الجزائرية في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة متون (كليّة العلوم الاجتماعية والإنسانية-جامعة مولاي الطاهر سعيدة)، العدد الرابع: ديسمبر2017، ص 221.

[2]- أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، المرجع سابق، ص86.

لديون تحت الرهن في حالة ما إذا كان هناك أشخاص أو شركات لهم دين على بوشناق وباكري[1].» «وهذا الاجراء الذي عمدت إليه فرنسا كان من الممكن أن يكون عاديا لو أن الأمر تعلق بدين عادي، لكن الامر خلاف ذلك، لأنه يتعلق بدين بين دولتين: لان المبالغ التي اقرضت الى فرنسا ونصيبا هاما من القموح التي دفعت لها، دفعت من الخزينة الجزائرية، يضاف الى ذلك أن كلا من باكري وبوشناق كانت عليهما ديون للداي ولخزينة الدولة، فالإجراء الطبيعي في هذه الحالة هو ان تصفي الديون في الجزائر وأن تعطى فرنسا ما عليها من مبالغ الى الداي مباشرة، لا بواسطة وفى فرنسا كما حدث.. وليس خافيا أن الطريقة التي دفعت بها المبالغ المدفوعة الى باكري وبوشناق كانت تهدف الى تهريب هذين من أن يدفعا ما عليهما للخزينة الجزائرية[2]»

«ففي يوم العيد، ذهب القنصل لتهنئة الداي حسين باشا، في قصر القصباء وبعد تبادل التحية وعبارات التهنئة، قال الباشا: ولماذا لم أتلق إلى الأن جوابا من الملك عن رسالتي المتعلقة بتصفية حساب الدين؟ فتعمد القنصل دو فال العجرفة كما أُمر، وقال: وهل تظن أن جلالة ملك فرنسا يتنازل لجواب داي الجزائر؟

فوجم الجميع، وفهموا أن الحادث متعمد، ووقف الباشا وسط الديوان يرد الإهانة المقصودة، وقال للقنصل: أخرج يا ابن الكلب! وأشار بمروحة من الريش كان يحملها، إلى الباب، فادعى القنصل أن ريش المروحة قد لمس وجهه[3]» «فعظم هذا الأمر على (دوفال) الذي خرج صاخباً متوعداً، وطير إلى فرنسا برقية ينبئ حكومته بما جرى له، وكيف لطمه الباشا بمروحة على وجهه، فأتاه الأمر بمبارحة الجزائر حالا فهيأ أمتعته وغادر الجزائر ورافقه أكثر الفرنسيين المقيمين هناك فلما رأى الداي ما فعلت فرنسا بنقل رعاياها أدرك أنها لا بد لها من أن تحاربه، فأصدر أمره بالقبض على من بقي من الفرنسيين في بلاده، وضبط أملاكهم، وخرب

[1]-مبارك ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج3، بالجزائر، 1987، ص281.

[2]-عبد الله شريط محمد ميلي، الجزائر في مرآة التّاريخ، مكتبة البعث، ط1، الجزائر، 1965، ص167.

[3]- أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، المرجع سابق، صص78،77.

قلعة دي كار الفرنسية. فأعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في 16 من حزيران . يونيو – سنة[1]1827م»

بدأت عمليات الإنزال الفرنسية لقواتها «**يوم 19 جوان سنة 1830م في ميناء سيدي فرج. وفي يوم 5 جويلية استولت على مدينة الجزائر واستسلم الدّاي فيها للقوات المغيرة وأمضى عقدا معهم ضمن به المحافظة على حياته وأرزاقه. وهي معاهدة لم يحترم منها الفرنسيون شيئا لأنهم استولوا على كل أملاكه الخاصة مثلما استولوا على أملاك الدولة. كما لم يحترموا تعهداتهم بعدم المس برجال الدين والمؤسسات الدينية وبممتلكات الاشخاص ومتاجرهم ومعاملهم وحرماتهم. لقد كان استيلاؤهم على مدينة الجزائر عبارة عن عملية نهب عام ونهب لكل شيء[2]» «وأخذ الفرنسيون يتوغلون في سواد مدينة الجزائر الذي كان عبارة عن حديقة غناء ، ينهبون ويسرقون وينتهكون الحرمات.**

ولا يزال الجزائريون يعتبرون يوم ٥ يوليو يوم حداد عام، إلى أن كان يوم 5يوليو سنة 1956م، فأعلنوا في سائر جهات القطر الجزائري الاعتصاب. العام، ولم يبق من المسلمين أحد لم يشارك في هذا الحداد الوطني، رغم إنذار السلطة الفرنسية وتهديدها بإنزال صارم العقاب بالمضربين.[3]»

« الأسباب الحقيقية للاحتلال الفرنسي للجزائر

كانت فرنسا مدفوعة في غزوها للجزائر بأسباب عدة ولكنها ادعت أمام الرأي العام الأوروبي أن هدفها القيام بحملة تأديبية ضد الجزائر، وفي الحقيقة إن فرنسا كانت تخطط لاحتلال الجزائر والاستيلاء عليها منذ 1792م أي سنة إبعاد إسبانيا وتصفية قاعدتها العسكرية في المرسى الكبير بوهران، فقد كانت هناك رغبة قوية للتجار الفرنسيين والقيادة السياسية بتلك البلاد أن تحل فرنسا محل إسبانيا في شمال أفريقيا وتسيطر على هذه المنطقة الغنية بالثروات الطبيعية وبصفتها موقعاً استراتيجياً هاماً من الناحية العسكرية، فإن الجيش الفرنسي كان يسعى

[1]-بسّام العسليّ، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830م-1838م)، ط3، دار النفائس، بيروت لبنان،1986، ص182

[2]- عبد الله شريط محمد ميلي، الجزائر في مرآة التّاريخ، المرجع السابق، ص165.

[3]-- أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، المرجع سابق، ص80.

باستمرار لتقوية اسطوله وإنهاء السيطرة الإنجليزية على حوض البحر الأبيض المتوسط، كما أن هناك أسباب عديدة سياسية، ودينية واقتصادية وغيرها.[1] »

«إن تاريخ الأمة الجزائرية، كان بعد ذلك اليوم النحس، تاريخ بطولة لم يشهد العالم – يحق – لها مثيلا. وكان تاريخ كفاح طويل، حبة مستمرة، ومقاومة عنيفة لم تفتر ساعة من نهار، فكانت أحياناً حربية قاسية، ذات وقائع وأهوال، ودماء ودمار ونار، وكانت سياسية أحيانا أخرى. واستمر كفاح الجزائر الأبية كذلك 125 عاماً ، يحاول والاستعمار محاولات بائسة تحطيمها والقضاء عليها ، ويصيبها كل يوم بضربة جديدة ، ويبطش بها كل ليلة بطشة جديدة ، دون أن يقضى على روحها الأبية ، ودون أن ينال من كيانها العربي الإسلامي الشريف أي منال ، إلى أن طفح الكيل ، ودقت ساعة القدر ، وهبت رياح التحرير الوقح على العالم ، فحزمت الأمة الجزائرية أمرها وقامت إلى ثورة جبارة ، لا تزال تدهش الدنيا بوقائعها ، ولا تزال تسجل بدمائها صفحات الروعة والجلال ، في ميدان البطولة ، فوق الأرض الجزائرية الكريمة التي عجنت منذ قديم الأجيال ، بدماء الأبطال ، في ميادين الكفاح والنضال. [2]»

✓ **لأمير عبد القادر قائد أمّة**

فلنبدأ الحكاية إذًا من البداية ولنتساءل: ما هو نسب عبد القادر[3]؟

- **. نسبه**

«هو الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد، بن مختار، بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خده، بن محمد، ابن عبد القوي، بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد، بن يوسف، ابن أحمد بن بشار، بن محمد بن مسعود

[1]–محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، ج1، دار المعرفة، بيروت لبنان،2017، ص272.

[2]– أحمد المدني توفيق، هذي الجزائر، المرجع سابق، ص 83.

[3]–قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الإمارة، تج: مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص 33

بن طاووس، بن يعقوب، ابن عبد القوي، بن أحمد بن محمد بن ادريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود، محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشرف وكرم وعظم[1]»

«وأصل أسرته من المغرب الأقصى، هاجرت من هناك إلى نواحي وهران واشتهر رجال منها بالورع وكانوا قدوة للناس.[2] »

«فقد كانت اسرة الأمير عبد القادر تعتز بامتداد حلقاتها إلى هذا المعدن الشريف ففي القرن الثامن هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المغرب، هارباً من بطش العباسيين، وأنشأ دولة الأدارسة وعاصمتها فاس، ودام حكمها حتى الثاني من القرن الثاني عشر وبعد أن سكنت بعض سلالات العائلة الكبيرة الأندلس انتقل أحد اجداده عبد القوي الأول في نهاية القرن الخامس عشر بعد سقوطها عام1492م واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف[3]»

«وقد اندمج الجد الأكبر، عبد القوي هو وعائلته بسرعة في قبيلة بني هاشم التي أصبح تعدادها، مع مرور الزمن، سبعة دواور، قوامها ما يقارب 300 خيمة، وبين 25000 إلى 30000 نسمة. وحَمَل الدوار، وهو المكان العادي حيث يقيم شيخ القبيلة اسم القطنة.

[1] عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت،2000م، ص 12

[2]–نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر بدمشق، سوريا،1993م، ص9

[3]– محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، المرجع السابق، ص351

وكانت خيمة شيخ القبيلة تُعرف بأمارة وهي أن على رأسها كرة من نحاس مذهبة منتهية بهلال[1]»

«ممّا سبق يتبين لنا أن الأمير قد حاز كل أسباب الشرف والعزة، فنسبه الحسيني ينتهي إلى نبي الرحمة، وأجداده علماء أفاضل، بلغوا أسمى مراتب المجد والعز بين أهلهم وفي أوطانهم، فلا غرو إذن أن ينهج الأمير مسلكهم ليزيد عزهم عزا وشرفهم شرفا، و به اكتملت حلقات العقد، وباسمه اشتهرت أسرته ولا تزال.[2]»

كان لوالد الأمير الشيخ محيي الدين زوجات عديدات «**وقد ولد له بعد أربع زيجات ستة أطفال: خمسة أولا، وبنت واحدة. فزوجاته الاربع كن وريدة بنت الميلود، زهرة بنت اعمر بن دوبه، فاطمة بنت سي دحو وخيرة بنت العوياد. وقد أنجبت له وريدة محمد سعيد ومصطفى، وأنجبت له زهرة خديجة وعبد القادر، وأنجبت له فاطمة الحسين، وأنجبت له خيرة المرتضي.**

وكان الداعي إلى عقد هذه الزيجات هو إبرام تحالفات سياسية وقبلية رشيدة، في زمن مضطرب وخطير، وكذلك الأعمال المنزلية التي غالبا ما كانت شاقة ومرهقة.[3]»

– مولده ونشأته

ولد الأمير عبدالقادر« **بالقيطنة قرب معسكر، وذلك يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ الموافق لشهر ماي 1807م وقد أجمع على ذلك معظم الذين أرخوا قديما وحديثا لحياته كالأمير محمد ولده وتشرشل والبيطار والحفناوي وزيدان وشيخو والشطي والبغدادي، وآثر البعض الآخر – خلافا لذلك – اعتبار تاريخ ولادته عام 1223 هـ / 1808م (صالح السيد، 1985، الصفحات –32–33) أما وفاته فكانت ليلة السبت 19 رجب 1300 هـ الموافق**

[1]–قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، ص 36

[2]– عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، المرجع السابق، ص12

[3]– قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، ص47

لـ 24 ماي 1883م (صالح السيد، 1985، صفحة (81) والده هو الشيخ محيي الدين شيخ الطريقة القادرية وسليل الشيخ مصطفى ابن المختار، وحفيد سيدي قادة بن مختار وعبد القادر هو الابن الثاني لوالده من زوجته الأولى لالا الزهرة.[1] »

«في اليوم السابع من الولادة المسمَّى السبوع أو "السابعة، أقيم حفل من أجل تسمية الصبي. وكانت التقاليد تقتضي طبعا أن يحمل المولود الجديد اسم ولي الطريقة القادرية. وكان على محي الدين، والد الصبي، أن يتخذ القرار في هذا الاختيار فسماه "عبد القادر".

وكان اسم "عبد القادر" يتردّد على كل الألسنة، لأنه اسم يحمله النبلاء والأشراف، وهو مذكور عدة مرات في سلسلة نسب شيخ قبيلة هاشم. وبما أن العادة المنتشرة آنذاك هو منح المولود الجديد اسما مزجيا، فإن عبد القادر مُنح اسما آخر هو ناصر الدين، غير أن الاستعمال المتكرّر أبقى على اسم "عبد القادر" فقط.[2]»

«ومنذ طفولته كان عبد القادر موضعا خاصا لحب والده، حتى عندما كان في الرضاع فان الوالد الحنون كان يصر دائما على أخذ الطفل الى حضنه وكان لا يسمح لاحد غيره أن يقوم بالعناية به. فقد كان هناك، على ما يبدو سر غامض وعاطفة غير محددة يدفعان الاب الى ان يخصص اهتماما غير عادى للطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة ومرتبطا بمستقبل بلاده.

وقد تطور الولد بدنيا بسرعة فائقة. بينما كانت ملامحه تظهر، في مقارنة غريبة مع تطوره الجسمي، حياء طبيعيا كبيرا. فعبارة (يخاف من ظله) قد تؤخذ على حرفيتها بالنسبة لعبد

[1]-كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، شخصيات، أماكن، أحداث معارك،ط1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2020، ص47

[2]- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، صص53،54

القادر. ولكن بعد سنوات، وعندما كان في كمال وحيوية رجولته، اظهر شجاعة فاقت كل شجاعة، فقد كان دائما اول من يقود إطلاق النار أو يغطى الانسحاب. لقد كان والده غالبا ما يعود به الى عهد طفولته الناعمة ويعجب من المقارنة المدهشة[1]»

«لقد تعرّف الأب إذا على بذور الخصال الحميدة في هذا الابن، في زمن مبكر جدا، لذا كان يعلّمه القراءة والكتابة والحساب. ("لقد كانت قدرات الطفل العقلية تتميّز بنضج مبكّر غير عادي. وكان بمقدوره القراءة والكتابة في سن الخامسة") ...

وبورع شديد، جعله أبوه يحفظ سُوَرا عديدة من القرآن عن ظهر قلب. وبما أن الطفل كان يبدو متميّزا بذكاء حاد وكان يستزيد في طلب العلم، فإن والده غالبا ما كان يفسّر له تفسيرا مفصلا بعض الآيات وبعض الأحاديث. ولعله كان يركز أكثر على حديث للنبي محمد صلّى الله عليه الله وسلّم، حديث مشهور رواه عنه أحد أصحابه وهو أبو هريرة رضي الله عنه، والذي يقول فيه ":سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظلّه...وشاب نشأ في عبادة الله[2]»

«وفي السابعة عشرة اشتهر الشاب عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة ونشاطه الواضح. فهيئته المتكاملة المتناسقة) كان طوله حوالي 5 اقدام و6 بوصات)، وتركيب عظامه، وصدره العريض الغائر، كلها قد شكلت إطارا جسمانيا لا يعرف الكلال وقادرا على احتمال أشق الاتعاب[3].»

«وإدراكا من محيي الدين بأن العقل السليم في الجسم السليم، راح يشجع ابنه على الفروسية، وركوب الخيل، ومقارعة أنداده، والمشاركة في المسابقات التي تقام آنذاك، فأظهر تفوقا مدهشاً فقد كان يلمس كتف فرسه بصدره، ويضع أحد يديه على ظهر الفرس ثم يقفز

[1]–شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم: أبو القاسم سعد الله، الدّار التونسية للنشر، تونس،1974، ص39

[2]–قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص66

[3]شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص40

إلى الجانب الآخر، أو أنه كان يدفع الفرس إلى أكبر سرعة ممكنة، ثم ينزع قدميه من المهماز، ويقف على السرج ويطلق النار على هدفه بدقة عجيبة.[1]»

«لقد كان ذلك يمثل عاملا هاما في حياته وهو ذلك الفراغ المثير من الوقت الذي كان يقضيه النبلاء الجزائريون بحماس يفوق الحماس الذي يدخل به هواتنا حلبة السباق. وكان يركب جوادا فاحم السواد وهو اللون الذي كان يفضله، لأنه عادة يدل على استعدادات ممتازة ولأنه يمثل مقارنة خاصة مع بياض برنسه) يجعله محط جميع الانظار.

كان كساؤه بسيطا وصريحا. وليس سوى سلاحه يظهر الزينة. فقد كانت بندقيته التونسية الطويلة مرصعة بالفضة. اما مسدسه فقد كان مرصعا بالجواهر. وكان سيفه الدمشقي مغمدا في غمد من فضة ان هذه المرافق، مع المنح التي خصت بها الطبيعة شخصه، قد أعطت لمظهره مهاب يصعب التعبير عنها[2].»

«وكانت هواية الأمير المحببة إلى نفسه كثيرا، رياضة الصيد، التي كان يمارسها برغبة وحب شديدين، بحيث كان كلما انتهى من واجباته العلمية والدينية يأخذ معه خادمين أو ثلاثة، ثم يقصد الغابات والبراري، عكس أنداده من الشباب الآخرين الذين كانوا يعطون رحلات الصيد مظهرا استعراضيا، حيث يتقدمون مع حاشية كبيرة من الخدم والصقور والكلاب.

وإثر عودته من رحلته كان يؤوب إلى دروسه وقد تجدد نشاطه، وأصبحت نفسه مستعدة أكثر من ذي قبل للتحصيل والاستيعاب، ذلك أن مثل هذه الأمور لم تكن تشغله عن القيام بواجباته الأساسية العلمية أو الدينية.[3]»

- [1]عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، المرجع السابق، ص13

[2]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص40

[3]- عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، المرجع السابق، ص15

«وليس من العجب أن يحصل تدريجيا شخص موهوب بالطبيعة وجاد في فن الثقافة العصامية والاصلاح الذاتي على تفوق عظيم على كل من حوله. لقد كان عبد القادر يتمتع بكامل

الاحترام والثقة والحب الذي خص به عرب وهران والده منذ وقت بعيد. أما الوالد، الذي كان فرحا برؤية أعز أمانيه يتحقق، فقد كان لا يقوم بشيء أو يتمتع بمناسبة اجتماعية دون حضور ابنه المحبوب، ففي استقبالاته، واعلان خططه ومشاريعه، وفي رحلاته وزياراته للبايات الاتراك في المدينة وللقبائل العربية في التل أو في الصحراء كان عبد القادر محل ثقته وصاحبه الذي لا يتخلف[1].»

بيئته الإجتماعية

«لا ننس أن الأمير كان ابن ريف، وأن أسرته عاشت تراوح في تنقلها بين البادية والحاضرة من هنا كانت للأمير تلك النظرة الإعلانية والحميمة التي ما فتئ يعرب عنها تجاه البادية ومآثر الريف.

لقد كان سليل قبيل عربي راسخ الاعتزاز ببداوته.

فآله حتى وإن استوطنوا الحاضرة، بل حتى وإن كانوا قد مصروا مركزا مدنيا سيعرف بالقيطنة وسط تلك الثنايا الواقعة في مفترق جبلي يطل على السهول التلية من جهة ويشارف الهضاب الصحراوية من جهة أخرى، إلا أن خصال البادية وأساليب معاشها واجتماعها ظلت ملازمة لهم أثيرة لديهم يزيد من رسوخها في نفوسهم النشاط الروحي الذي كانت الأسرة تنهض به وتزاوله من خلال إشرافها على الزاوية[2]».

[1]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص42.

[2]- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص108

«هذه الزاوية التي أعاد لها محي حيويتها ودورها المزدوج الديني والسياسي المستمدين من الرباط، كان يجتمع رجال الدين الوجهاء المرابطون، الطلبة، علماء أفذاذ في علوم القرآن، وفي غالب الأحيان تحت إدارته بصفته شيخ بني هاشم، وهذا بغرض توسيع آفاقهم العقدية والثقافية وتبادل الأفكار حول المسائل ذات العلاقة بوضعية المنطقة وسكانها تحت إدارة الباي حسن. وكان الطلاب يرتادونها للتعلّم مجانا، وكان المعوزون يأتونها ليأخذوا الطعام لهم ولعائلاتهم. وكان المسافرون وبخاصة منهم الزوّار الباحثين عن كل ما هو روحي، والذين يأتون لزيارة الضريح المفترض للولي الصالح، "ذاك الذي يوصل التيار الرباني إلى المجتمع وإلى العالم، يجدون في الزاوية طعاما يشد صُلبهم، ومأوى عند الاقتضاء يقضون فيه ليلهم[1].»

«فشخصية الشاب عبد القادر ارتبطت أكثر بهذين الشرطين:

– روح البادية التي فتح عليها عينيه وتشرب بساطتها وتمرس بأجوائها.

وتربية الزاوية التي شب يرتادها ضمن أفواج من طلبة القرآن والعلم ينتقل بين حلقاتها وصوته يدوي مع الصفوف حفظا وترتيلا وإنشادا، وكل ذلك هيأه لأن يكتسب صفات أصيلة ستمكنه من أن يقوم بين أبناء وطنه مقام الرئاسة والسلطان.

ولعل من أهم تلك الصفات التي اكتسبها من منشئه ذلك تعمق الروح الجماعية لديه نتيجة الوسط الاجتماعي والتعليمي الذي عاش فيه[2].»

فأسرته «**عرفت بالعلم والثقافة والتدين وكان فيها أبوه سيداً وقوراً، وعالماً وفقيهاً تقياً؛ ورئيساً للطريقة القادرية في الجزائر[3]».**

«فكونه ينشأ في ظل رعاية أسرية ذات منزلة روحية واجتماعية عند الأهالي وعند الحكام، جعله يرث تلك العزة وذلك الوثوق الذي يصون النفس من أن تقهر أو تنكسر للحوادث.

[1]– قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، ص41.

[2]– عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع السابق، ص109.

[3]–حسين جمعة، التجربة النضالية الوطنية للأمير عبد القادر، مجلة التراث العربي، العد د111-117–، دمشق،2010، ص14.

لقد تعلم من خلال ما عاشته الأسرة من أحداث في ظل الحكم التركي الذي سلك سياسة العصا والجزرة مع الأسرة كيف يمتلك رباطة الجأش ولا ينحني أمام النوازل أو يذعن لهاء وكيف يطاول الأحداث بوثوق من يعرف أنها لا محالة ستنجلي ما ثبت الانسان على التجمل والصمود أمامها[1].»

إنّ ذلك التميز، وتلك الحظوة الاجتماعية والروحية التي كانت تتمتع بها أسرة الأمير لم تأثر أبدا على روح الجماعة عنده فـ« **قد استحال – في جو ذلك الانخراط التربوي إلى تفتح نفسي وعاطفي غدت به شخصيته ذات قابلية اجتماعية وانسانية تحمل من دوافع الاندماج والقربي أكثر مما تحمل من بواعث العزلة والانغلاق، الأمر الذي كفل له فيما بعد أن ينجح أيما نجاح في القيادة، بل وفي التكيف من غير سوء مع المنعطفات الخطيرة التي ستعرفه حياته[2].»**

«إن تكوين الأمير عبد القادر وثقافته التي تلقاها في صغره أثرت ولعبت دورا واضحا في توجيه سلوكه وهو كبير فقد أطرت حياته وبلورت مواقفه، فالثقافة التي تشبّع بها الأمير كانت مسؤولة بطريق مباشر في صناعة رؤيته للوجود والحياة وشكلت الخلفية اللاشعورية لكل سلوكياته ومواقفه فيما بعد[3].»

«ثم إن تلك التنشئة بأسسها الاجتماعية والثقافية والروحية المتجذرة في تربة الزاوية قد مكنت من نفسه عاطفة الأخوة والمساواة، وهو ما سيظهر مع الزمن على صورة محبة ليس للقوم وبني الملة فحسب، ولكن للإنسانية جمعاء.

فمواقف المبرة بالإنسانية كما ظل يجسدها الأمير في سيرته الشخصية أولا، من حيث التزامه المكين بواجباته الاجتماعية، ثم في صلاته العامة وعلاقاته مع الآخرين وحرصه على أن ينظر

[1]– عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع نفسه، ص109.

[2]– عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع السابق، ص 110.

[3]– درعي فاطمة، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، مج2/12، ماي 2021، ص139.

إليهم عبادا" الله " بكل ما تنضح به عبارة "عباد الله " من دلالة التكريم والتبجيل والقربي لهي ثمار شعورية بائعة نمت بذورها في تلك التربة الصالحة المسقية بنقاء البادية وسماحة القرآن العظيم وخلقية جو الزاوية كما كانت تتجسد في سلوك الأتراب والمريدين من حوله[1].»

لقد أوتي الأمير حظا من الاتزان الروحي والنفسي ما جنبه الوقوع في نتائج قرارات ضيق الأفق وعدم التفكير المنطقي في محاربة العدوّ المستعمر...

«ففضل الزّاوية عليه كبير، وهو مكتسب روحي وسلوكي يشترك فيه رواد الزوايا عامة تقريبا، ولا زلنا نرى هذا الفضل يميز سلوك متخرجي الزوايا إلى زمننا هذا، إذ هي بنظامها الجماعي وبروحها الانضباطية الثابتة وبمنهجها الديداكتيكي الفردي، تكفل للمنتسب إليها عصمة وصقالة رجولية تزول معها كثير من شوائب السلوك الغليظ.

بل إن خريج الزاوية – رغم النقص في الأفق الرؤيوي – ليكتسب طبعا مدنيا وكياسة تعاملية محسوسة.[2]»

إضافة إلى هذا الدور الذي لعبته الزاوية القادرية في حياة الأمير، وفضلها عليه، وانتسابه إليها، وتجلّي هذا الفضل على روادها وتميزهم به «**فقد نشأ على عزة نفسية راسخة، مع ما يلابس ذلك عادة من مشاعر السيادة المكتملة والفضل المكين. وتلك خصوصية أخرى ستلعب دورها في ترجيح مهمته القيادية واستحقاقه لها.**

وهناك جانب آخر تدعم لدى الأمير نتيجة نشأته في رحاب الزاوية، وهو توطن نفسيته على تحمل المسؤولية، إذ أن النظام الجماعي المتبع في الزاوية قد ولد لديه منذ النعومة حس المسؤولية مع ما يترتب عن ذلك من تطبع بخلق العدل والنصفة وحب المساواة[1].»

[1] – عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع السابق، صص 110،111.

[2] – عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع نفسه، ص111.

في تلك الزاوية التي كانت مقصد طلاب العلم، ومأوى الفقراء، وعابري السبيل.... «**في ذلك المناخ شب الأمير وتبلورت شخصيته وتهيا للدور الخطير الذي قدر له أن يلعبه والذي اقترن فيه مصيره بمصير الوطن.**

ذلك الدور القيادي الذي نحسب أن تعاليم الزاوية ونظامها الاجتماعي التكافلي وروحيتها الجماعية المتراصة كانت من أسسه، إذ انعكست بالإيجاب على تثبيت ذلك. المستوى العالي من القوامة والرجولة والقسطاسية الذي تميز به الأمير طيلة حياته.[2]»

كل تلك السّيمات الرجولية التي خصّ بها الأمير كانت تهيئه ليكون شخصية قيادية تُثَبَّتُ له الإمارة والسلطنة...«**فهو قد تدرج إلى المسؤولية السامية عن طريق الترقي المرحلي الذي اتبعه منذ أن كان صبيا يرتاد بهو الزاوية التحصيل العلم، واستمر بلابس التدرج الروحي والمدني فيما تلا ذلك من مراحل المراهقة والشباب، ليكتمل إعداده للمستقبل من خلال تكيفات اجتماعية وفكرية ومدنية عاشها تحت نظر وتوجيه والده الذي كان دون شك يؤهله من أجل أن يكون على كفاءة وقدرة لخلافته في تدبير شؤون الزاوية لا سيما وأن تلك الزاوية أضحت تأخذ مع مرور السنين بعدا مدنيا وسياسيا متناميا بين الأهالي خلال المرحلة الأخيرة من العهد التركي في الجزائر[3].**»

تعليمه:

كانت البداية العلمية للأمير عبد القادر« **في قرية القيطنة، مسقط رأسه، تلميذاً لأبيه السيد محيى الدين بن مصطفى، وكان رجلا جليل القدر كبير المنزلة في العلم والتصوف ، (بلغ من**

[1]- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، المرجع السابق، ص112.

[2]- المرجع نفسه، ص 112.

[3]- نفسه، ص113.

المعارف أقصاها ، ومن العوارف منتهاها ، وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصار ، لتلقي العلوم وتلقين الأذكار[1] ».

«والده، ذلك الفقيه والصوفي الكبير الذي أثرى حياته وأسس فكره تأسيسا أصيلاً، ولقنه مناهج اقتناص الفكر والحكمة، ورباه بمنهج صوفي وجداني، مكنه من بعد من اكتساب أساليب البحث والنظر، واستلهام الحقائق والمعارف[2]. »

«ومن أجل اتمام دراسته سافر عام 1821الى مدينة أرزيو الساحلية التي تقع شمال مدينة معسكر، وذلك على يد القاضي الشيخ أحمد بن الطاهر البطوي الذي كان مشهور بغزارة العلم وسعة الاطلاع[3]»

وقد **«اندهش قاضي أرزيو أحمد بن طاهر، حينما اكتشف، منذ أول اتصال له بعبد القادر الشاب ذكاءً وقادا يتمتع به طفل في مثل هذه السن حيث كان عمره حينئذ إحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة، طفل يثير الاهتمام باستعداداته التي تشجع معلمه على المضي قدما في نوع التعليم الذي يريد أن يمنحه إياه[4]»**

ولأجل ذلك الاستعداد المثير، وتلك الهمة التي تنبي عن شخصية فذة، وذهن متوقد، وهمة تسمو بجوهر صاحبها **«لقن قاضي أرزيو التلميذ عبد القادر بصبر وأناة وبطرق تربوية، فلسفة أفلاطون الذي كان من بين أهم مؤلفاته كتاب La philosophie de l'Islam فلسفة الإسلام)، والمنطق الأرسطي، وعلم اللاهوت والفلسفة الخاصين بحجة الإسلام الإمام الغزالي**

---

[1]-محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر-محاضرات، جامعة الدول العربية،1968م، ص31.

[2]-بركات محمد مراد، لأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، الصدر للطاعة والنشر، القاهرة،1992م، ص 10.

[3]-الزهرة زواري فرحات، الأمير عبد القادر حياته ودعوته، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص: إعلام واتصال، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي (معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين)،2017-2018م، ص 25.

[4]- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص70.

في تربية الأولاد، والفكر العربي والمغاربي بصورة عامة، وعالم الأعمال الأوروبي الذي كان يعرفه في أدق تفاصيله. ولهذا السبب، فإن معلّمه لم يهمل فوق ذلك، تعليمه التاريخ والجغرافيا. بل إن هذا التعليم كان بالنسبة إلى عبد القادر وسيلة لاكتشاف أوطان وشعوب وثقافات وحضارات.[1]»

وحتى لا ينضب ذاك المعين وتضمر تلك الموهبة وتخبو...**«وبما أن القاضي أحمد بن طاهر كان يعاني من صعوبات أكثر فأكثر، بسبب سنه المتقدمة جدا، في مواصلة تكوين هذا الولد اليافع الذي يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، والذي يفيض نشاطا وحيوية، فقد أشار على محي الدين، بعد أن أطلق سراحه من سجن دار العريش، بأن يرسل ولده إلى وهران لدى شخص يُقال إنه "قريب "لهم يُدعى حمدان بن عثمان خوجة. وإن هذا الرجل الغزير الثقافة، والعارف بعالم الأعمال في أوروبا، بفضل ما قام به من أسفار عرف كيف يتم تربية عبد القادر الشاب الذي كان دائما مفعما بطموح كبير بغية السير في طريق الأمجاد، ونيل هذا الثناء الشعبي الكبير والشهير في حق "شجعان "القبيلة والقائل" :السيف دائما مسلول واليد دائما مبسوطة[2]»**

كانت سيمات فطانة الذهن ووفرة العلم جلية وظاهرة على الأمير...تدل على نبوغ غيري عادي لديه **«حينئذ، و بعد أن تأكد محي الدين من أن شخصية ولده كانت على مستوى رفيع انتهى بإرساله إلى المدرسة العمومية، المدرسة التي يديرها حمدان بن عثمان خوجة في وهران وكانت هذه المدرسة تشتهر بنوعية التعليم العصري بها، حيث كانت تنتهج طريقة تشبه تلك التي كانت سائدة في فرنسا، في العصر نفسه وكانت تُسمى méthode mutuelle أي**

[1] – قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص71.

[2]- المرجع نفسه، ص 74.

المنهج التبادلي وقوام هذه الطريقة أن يقدّم الأستاذ الدروس باستعمال السبورة في كل المواد (القرآن الأحاديث اللغة، الحساب، الجغرافيا، إلخ)، وأن يتأكد الممرّنُ أو المعيد)، من بعده، من أن التلاميذ قد فهموا الدروس، وأنهم يتحسنون في القراءة و الكتابة[1] »

«فمعظم المتعلمين كانوا يستزيدون علماً استكمالاً وفهماً لمبادئه وحدوده[2]». «وكان يلتحق بهذه المدرسة أبناء المسؤولين الأتراك الكبار، وأبناء العائلات الجزائرية الثرية فقط. وكان عبد القادر يذهب إلى هذه المدرسة بصحبة أتباع والده الذين عينهم له وكان يتلقى هناك تعليما تحسينيا لكل الذي تعلمه في مدرسة أرزيو، ولاسيما إجادة الحديث، وهذا مع توجيه أخص وأعمق نحو دراسة العلوم.

ومع ذلك، فإن أعظم تعليم تلقاه أثناء إقامته بوهران هو، دونما شك، الاحتكاك بزملائه في القسم وهم كلهم أبناء عائلات ثرية كانت كلها تقريبا برجوازية وإقطاعية. وإن حس الملاحظة لديه، وهو الآن أشد تمرسا وذكاءه الذي أصبح أشد حدة، جعلاه يكتشف، أثناء زياراته لأرجاء المدينة الفروق الكائنة بين الطبقات الاجتماعية والإذلال الدائم الذي كان عليه أبناء الفقراء أو أولئك الذين ترفض عائلاتهم الرضوخ إلى القوانين الجائرة (أشباه القوانين!) لإدارة الباي.[3]»

ولأن الأمير نشأ في صفاء البادية وتشرب منها خصال الشهامة والتواضع كان تستثيره تلك الفروقات الطبقية الاجتماعية **«إذ كان يعرف أن في المدن طبقة تتوهج ثراء، وتفوح منها رائحة الفجور. أما في الأرياف، فكان ملاك العقارات يحرمون الفلاحين من حقوقهم. ولكنه، مع ذلك كان يعرف بأنه في تلك المدن نفسها، وبخاصة في تلمسان، كان القسم الأعظم من السكان**

[1]- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص77.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت ،1998م، ص355.

[3]- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع نفسه، ص77.

يحافظ على الإرث العربي الأندلسي التليد، مصونا، من أجل إيصاله إلى الأجيال القادمة. وكان يعرف أن في الدواوير النائية قلة من الناس، قلة قليلة ولكنها عنيدة، كانت تحافظ على نقاوة الأخلاق وتحمي أصالة القيم التي تربط الناس بأراضيهم، وهي في معارضة متواصلة للمحتل والخدامة.[1]»

فلم لم يشعر بأريحية حين رأى ما ينافي المبادئ السمحة التي تنسجم والفطرة الإنسانية التي تحلى بها من الشريعة الإسلامية. **«وبعد حوالي عام من الدراسة لم يستطع عبد القادر تحمل مشاهد كهذه، بل شعر فيها بالتقزز، وترجى أباه أن يأذن له بمغادرة وهران، وبالعودة إلى جانبه في القطنة.**

وكان كذلك قد مضى على محي الدين زمن طويل لم ير فيه ولده، ولم يعرف بالتدقيق إلى أين وصل تكوينه، فأذن له إذا بالعودة إلى زاويته في وادي الحمام. وتقدم منه ولده، وقد كبر، ولكن وجهه المشرق بعينين كبيرتين كان شاحبا وتفحصه والده طويلا، وهو يشعر بسعادة في أعماقه لأنه اكتشف في نظرة هذا المراهق نضحا نفسيا لم يكن يتجرّأ على تمنيه من قبل. هذا النضج النفسي الذي لم يضعفه بعده عن عائلته، وبخاصة عن والدته. وهذه القامة الممدودة الشامخة، حتى وإن كانت متوسطة، كانت توحي، قبلا، بإرادة خارقة في أن تضم بين جوانحها شخصية قوية وجاهزة[2].»

شخصية الأمير عبد القادر قائد أمّة:

«كان العصر الذي ولد فيه الأمير عبد القادر تخضع فيه الجزائر للحكم العثماني الذي كان من النّاحية السّياسية – كما يقول المؤرخون يتميز بالمميزات التالية:

[1]- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص79.
[2]- المرجع نفسه، ص81.

1- أن البلاد الجزائرية قد توحدت في أثناء إدارتها وخضعت لسلطة مركزية واحدة تقع في مدينة الجزائر. وبذلك تكونت هذه الوحدة الحالية للجزائر بحدودها المعروفة في الوقت الحاضر.

2-أن الحكم العثماني قد صان الأرض الجزائرية عندما اشتدت رغبة الصليبيين في اكتساحها بواسطة أسبانيا والبرتغال.

3- أن القطر الجزائري – بعد أن توحدت إدارته تحت سلطة مركزية واحدة ، وظهرت قوته العسكرية برأ وبحراً . قد أصبح رغم علاقته الإسمية بالباب العالي في الأستانة دولة واسعة الاستقلال تستقبل الممثلين[1].»

كان المجتمع الجزائري بقرب نهاية الدّولة العثمانية وميلاد « **الأمير عبد القادر (١٨٠٧ – ١٨٨٣) وتأثر بالعلاقات الاجتماعية السائدة فيه، مجتمعا قبلياً رغم خضوعه لسلطة واحدة في عاصمة البلاد هي السلطة التركية . الولاء فيه أساساً للقبيلة، ثم هو مجتمع كان ينقسم إلى أشراف وغير أشراف، وكان الأشراف بدورهم ينقسمون إلى أجواد ومرابطين.**

فالأجواد يستمدون مكانتهم الاجتماعية، وهيبتهم بين الناس عن طريق السيف أو الشجاعة في الحروب والقتال. أما المرابطون فهم على العكس من ذلك يستمدون مكانتهم الاجتماعية وهيبتهم عند الناس، عن طريق الدين والزوايا والطرق الصوفية. ويعرفون عند العامة باسم ((المرابطين)).

[1]-تركي رابح عمامرة، الأمير عبد القادر الجزائري (البيئة الثقافية والتربوية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته)، مجلة: عالم الفكر، المجلد السادس عشر-العدد الأول-أبريل-مايو-يونيو1985م، ص234.

ثم إن هذا المجتمع كان ككل المجتمعات العربية الأخرى في ذلك الوقت مجتمعاً يربط بين أفراده الشعور بالانتماء للدين الإسلامي، والعالم الإسلامي أكثر مما يربط بينهم الشعور بالانتماء لوطن محدود. هو الوطن الجزائري أو قومية محدودة هي القومية الجزائرية[1].»

«وكانت هناك العادات والتقاليد المبنية بدورها على التشريع الإسلامي، التي تشكل عامل وحدة قوية في المجتمع[2].»

«والواقع أن الجزائر في أثناء العهد العثماني – ومعها العالم العربي كله – قد عزلت عن حركة التطور الهائلة التي عرفتها أوروبا نتيجة لثمار عصر النهضة (خلال القرون ١٦ – ١٧ – ١٨ – ١٩) وحركات الإصلاح الديني، والحركات الفكرية الجديدة، ونتائج الكشوف الجغرافية، والانقلاب الصناعي، إلى غير ذلك من عوامل التغير التي غيرت وجه الحياة، ورسمت المعالم الجديدة للحضارة الغربية المعاصرة.

ويلاحظ أن الجزائر كانت بصفة عامة في العهد العثماني على طوله من الناحية الثقافية متأثرة أشد التأثر بما يمكن تسميته بثقافة الطرق الصوفية التي كانت قد ابتعدت شيئاً فشيئاً عن العلم والعمل به ، واقتربت من التدجيل والخرافة ، ولم تكن لدى أصحابها فلسفة في التوحيد ، ولا عقيدة واضحة في الدين ، وكل ما كانوا يفعلونه هو بناء الزوايا وادعاء الكرامات وإعطاء العهود والأوراد ، وتلقين الأذكار ، وجمع المال والهدايا من الفقراء واستغلال العامة عقلياً وماليا[3]»

[1]– تركي رابح عمامرة، الأمير عبد القادر الجزائري (البيئة الثقافية والتربوية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته)، المرجع السابق، ص235.

[2]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، المرجع السابق، ص153.

[3]– تركي رابح عمامرة، الأمير عبد القادر الجزائري (البيئة الثقافية والتربوية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته)، المرجع السابق، ص237.

«وكثر فيه أدعياء العلم من الفئة التي كانت تسمي نفسها حامية الشريعة، وعشعش الفكر الخرافي حتى كاد المجتمع كله يصبح زاوية صوفية فيها الحضرة والرقص العصبي والإيمان بالغيبيات والروحانيات[1].»

«ومع ذلك فبالرغم مما لحق بالجزائر في عهد العثمانيين الذي نشأ في أحضانه الأمير عبد القادر، وتأثر بجوه العام، فكرياً، وثقافياً، ودينيا، من تخلف وانحطاط، فقد ظل للإسلام تأثيره في النفوس، وفي السلوك. وظل للأعراف والقيم العربية تأثيرها في التصرفات والعادات.

وكان من بين مظاهر ذلك التأثير، الإيمان بالعلم والتعليم، والعناية بالقرآن الكريم سبيلا إلى اكتساب أدوات المعرفة، في القراءة والكتابة، مهما قل عدد من يملكون زمامها، وإنما هي جذوة لم تنطفئ، ونزعة إلى المعرفة لم تنقطع على تعاقب الأجيال[2].»

في هذا العصر الطويل بأحداثه ومجرياته «**عاش الأمير عبدالقادر ثلاث مراحل متميزة بخصوصيتها وأحداثها ودلالاتها، الأولى قضاها في طلب العلم وتعرف فيها إلى أوضاع البلاد العربية عن طريق الحج، والثانية عاشها في الجهاد ومقاومة العدو، أما الثالثة فقد قضاها في ديار الغربة أسيراً في فرنساً ومجاهداً محتسباً في بورصة ودمشق[3].»**

أ- تقليد الأمير عبد القادر المسؤولية ومبايعته أميرا

«بعد الجهود العظيمة التي بذلها السيد محيي الدين للتصدي للغزاة وقيادة القبائل للجهاد في سبيل الله رأى الناس أهمية مبايعته ولكنه اعتذر بكبر سنه ودفع المواطنين للتفكير في مبايعة ابنه عبد القادر لقناعته بقدرته على ذلك واتفق مع الأهالي على موعد لعقد البيعة صباح الاثنين يوم الثالث من شهر رجب ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وفي ذلك الصباح المشرق لم يفاجأ سكان

[1] -حنيفيي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر،2008م، ص229.

[2]- تركي رابح عمامرة، الأمير عبد القادر الجزائري (البيئة الثقافية والتربوية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته)، المرجع السابق، ص238.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، عصر الامير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،2000م، ص155.

مناطق غريس بقدوم زعماء مناطق بعيدة إذ كثيراً ما كانوا يأتون للاجتماع بالشريف محيي الدين في هذا المكان، ويجلسون تحت الدردارة[1]» ،«وهي الشجرة التي طالما اعتاد الأعيان على الالتقاء تحت ظلها للشورى، كلما دهمهم ،خطب، أو بغتتهم نائبة، فيجمعهم (وادي مروحة – من قبيل غريس) ليخرجوا وقد استمدوا من ضعفهم قوة، وتجمعوا من بعد تفرق . غير أن تجمعهم في هذه المرة تمخض عن أمر جلل[2]»، « وأخذوا يتهامسون فيما بينهم وعندما علموا أن نجل الشريف محيي الدين مرشح سلطاناً على البلاد كبروا بأعلى أصواتهم "الله أكبر "ولم لا يكون وهو شاب قوي على درجة عالية من العلم وفارس شجاع وسيم شريف النسب، كريم ومتواضع، ومعظم القبائل تكن لسيدي محيي الدين وأولاده محبة واحتراماً، وبعد ساعات غص المكان بوفود زعماء القبائل وأعيان المدن والأشراف والعلماء وزعماء القبائل الشرقية والغربية، عطاف وسنجاس وبنو القصير ومرابطو بجاية وجميع بنو خديد وبنو العباس وعكرمة وفليتة والمطاملية ومجاهر والبرجية والدوائر والزمالة والغرابة واليعقوبية وخيموا في مناطق أريحة من مناطق غريس حول شجرة الدردار[3]».

«جلس الأمير مقابل الشجرة مبديا ملامح الجدية والرصانة بشكل لا يعكس سنه، كما جاء ابوه سيدي محي الدين رفقة اولاده واقربائه وحاشيته فكان اول شخص ينحني له ويعبر له عن اخلاصه وخضوعه كما تضرع للأمير ومنحه لقب ناصر الدين[4]»

«وعندما اكتمل هذا الاجتماع التاريخي تقدم الوالد من عبد القادر مبايعاً وشد على يده قائلاً: كيف ستحكم البلاد يا ولدي؟ أجاب عبد القادر بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين، سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى، وسأسير على هدي كتاب الله وسنة رسوله، ثم

---

[1]– محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، المرجع السابق، صص359-360.

[2]– بسّام عسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط3، دار النفائس، بيروت،1986م، ص35.

[3]– محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، المرجع السابق، ص360.

[4]–بن أشنهو، الدولة الجزائرية في:1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تج: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013م، صص79-80.

التفت الوالد سيدي محيي الدين مخاطباً الجموع قائلاً لهم: إنه ناصر الدين سبع القادر محيي الدين لقب ليس سلطاناً ولا ملكاً وإنما أميراً عليكم أيها الأخوة المؤمنون، ثم تقدمت عائلته تشد على يده مبايعة وتلاهم الأعيان ورؤساء القبائل حسب مراكزهم والعلماء والأشراف وكل من حضر ذلك الاجتماع التاريخي العظيم وكان جميع زعماء القبائل يرتدون اللباس الجزائري القومي المهيب والأنيق وكأنهم في عيد[1].»

«وكان موضع البيعة تحت الشجرة يحمل دلالة دينية واضحة، فهذا اقتداء ببيعة الرضوان التي قدمها الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة الفتح وحملت معنى التضحية، إذ بايعوه على الموت في سبيل الله ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يأخذُونَها وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)[2].»

«لقد تحققت النبوءة، وأصبح الحاج عبد القادر سلطاناً بايعته الجزائر بسيوفها وقلوبها وأغمض عبد القادر) عينيه وتذكر زيارته لضريح (عبد القادر الجيلاني في بغداد ففي تلك الفترة، حلم (محيي الدين) بان ملاكاً وضع مفتاحاً في يده، وأخبره ان يسرع بالعودة الى وهران. وعندما سأله عما يفعله بهذا المفتاح اجابه الملاك: ان الله سيوجهك وفسر محيي الدين هذا الحلم بانه كرامة من كرامات الصالح (عبد القادر الجيلاني اختصه بها لتولي وهران وتكررت مثل هذه الشواهد الغامضة التي تشير الى ان عبد القادر بن محيي الدين) ذا شأن في

[1]- محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، المرجع السابق، صص360-361.

[2]-كمال بن صحرراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، شخصيات، المرجع السابق، ص66.

قومه. ولم تمض فترة حتى سرت نبوءة غربي البلاد بأن شاباً عربياً سيصبح سلطاناً ويقيم العدالة بين الناس[1].»

ب- قيام دولة الأمير

«قامت دولة الأمير الوطنية في ظروف ثورة شعبية عارمة بسبب ظلم الاستعمار الفرنسي وطغيانه واعتمدت على مبادئ واضحة منها اعتماد راية وطنية وشعار رسمي للدولة، وعملة وطنية

- تشكيل مجلس شوري.

- تقسيم إداري إلى ثماني ولايات في إقليم الدولة.

-إقامة جهاز قضائي إسلامي.

-اعتماد ميزانية للدولة تقوم على الضرائب والزكاة

- إقامة صناعة عسكرية للدولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي

- تنمية وطنية اقتصادية وفلاحية وصناعية

تدعيم السياسة الخارجية للدولة الجزائرية مع أعضاء المجتمع الدولي.[2]»

أقام الأمير دولته «**على الفضل والعدل والنظام، وباشر الأعمال، وركب الأخطار، وضرب النقود من الفضة والنحاس، وأنشأ معامل الأسلحة واللباس، وجعل مدينة (معسكر) حاضرة إمارته ووضع للدولة الفتية دستوراً تضمن مجموعة القوانين التي نظمت الدولة.**

[1]- بسّام عسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص33.

[2]-العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر،2006م، ص158.

عبأ الأمير جيوشه بشكل منظم، وعيّن رجال الدولة، وعيّن وزيراً (محمد العريني) وكاتباً (ابن عمه أحمد بن علي)، ورتب مجلساً للشورى من أحد عشر عضوا، ورئيسهم قاضي القضاة أحمد القضاة أحمد بن الهاشمي.[1].»

«وقد أقصى الأمير جميع العمال الذين كانوا في عهد الدولة الجزائرية التركية واختار لحكم البلاد ذوي العفة والنزاهة الذين اشتهروا بالحزم والعزم والعلم والصلاح وحسن السياسة[2].»

«ومن بين أهم المعايير التي كان يركز عليها الأمير في اختياره أعوانه وموظفيه هي: التضحية بالمصلحة الخاصة للصالح العام ، والحركية والجدية والفعالية والإخلاص في العمل واتقانه والتفاني في حل مشاكل الغلبة من الناس، و الصبر على جلب المنافع للوطن والكفاءة وبعد النظر والنزاهة والجمع بين العلم والدين والاخلاق[3]»

كما أنّ **«اختيار ومبايعة وانتخاب الأمير كرئيس للدولة وقائد للمقاومة، كان بإرادة شعبية صريحة وعامة لا غبار عليها، ولم يصل إلى قمة هرم الدولة عن طريق الوراثة. وبذلك أصبحت دولة الأمير عبد القادر هي الدولة الشرعية الإسلامية الوحيدة في ذلك العصر بالجزائر حيث أنّ انبعاثها كان عن إرادة شعبية وبيعة شرعية وقوانين ديمقراطية حقيقية في عصر كانت فيه الدول الإسلامية الأخرى تقوم على أساس الوراثة[4]»**

«إن الأمير عبد القادر استطاع توسيع حدود دولته فشملت أغلب مناطق الغرب الجزائري وشملت الوسط الجزائري باستثناء الجزائر العاصمة بل والشرق الجزائري حتى الجنوب

---

[1]- نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، المرجع السابق، صص11-12.

[2]-. محمد العربي السعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية-البلدية 1516-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، ط:2، الجزائر،2011 م، ص108.

[3]- صادق دهاش، الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر، مجلة البحوث والدراسات العلمية، ع:6 ج2 جوان2012، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، الجزائر، صص105-106.

[4]- محمد العربي السعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية-البلدية 1516-1962، المرجع السابق، ص92.

القسنطيني بما في ذلك الأوراس والزيبان وامتد جنوبا إلى نواحي وادي ميزاب ووادي سوف حتى الحدود الجنوبية للتوارق[1]»

«وعمل الأمير عبد القادر الجزائري على تقوية دولته في الداخل والخارج، ففي الداخل، كان يسعى إلى جمع وتوحيد الشعب الجزائري كله ، لأن سر نجاح الثورات الشعبية، يتجلى في البناء الداخلي المحكم الذي يقرن بين الوحدة الشعبية ، والوحدة الترابية ولتحقيق هذه الأهداف، قام الأمير عبد القادر بإرساء قواعد ديمقراطية حقيقية ، حاول الامير عبد القادر تجسيدها ميدانيا لأنها كانت تعبر بصدق عن أمالي وأماني عامة الجزائريين ، ومطامحهم وتطلعاتهم السياسية[2]»

«فلأول مرة يشعر الجزائري أن هذه الدولة لا تحكمه بالقوة والقمع، بل أنها منه وفي خدمته، لتحرير بلاده من الاستعمار ومن الحاجة والفوضى التي كانت سائدة نتيجة انقضاء وانحلال مؤسسات الدولة السابقة عن الاحتلال[3]»

«كانت فلسفة الأمير عبد القادر في حكم الدولة الوطنية الجزائرية الفتية تستند إلى منطلقات دينية صحيحة ومرجعية فكرية وحضارية قوية ثابتة والتي كانت أحد أهم ركائز المنهج النضالي والفكري لدى الأمير لإدارة دواليب حكم دولته، لأن الأمير عبد القادر القائد المحنك قد صاغ لنفسه منهجا واضحا سار عليه منهج بطولي مبني على النزعة النضالية القوية من أجل تحرير الإنسان الجزائري وأرضه من سيطرة الفرنسيين المحتلين، وكان كل ذلك يتم انسجاما مع الخط الفكري والإيديولوجي للأمير عبد القادر، وفلسفته في الحياة ، المبنية على الشفافية والتشاور، والفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ،وباتباع منهج مبني

[1] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص158.

[2] - صادق دهاش، الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص115.

[3] - محمد العربي السعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية-البلدية 1516-1962، المرجع السابق، ص136.

على دفع المضرة وجلب المنفعة بالرفع من معنويات الجزائريين للتصدي بقوة للمشروع الاستعماري الاستيطاني ، واستغلال الفرص وتوظيف الإمكانيات المادية والروحية أحسن توظيف[1].»

«غير أن دولة الأمير الفتية وجدت نفسها معزولة عن المجتمع الدولي بسبب الطوق الأوروبي الصليبي ضد الإسلام والمسلمين ووجدت نفسها في مواجهة جيش كبير من المرتزقة معبأ ومسلح لا طاقة لها به.

وكثرت الخيانات والنقص الفادح في الأرزاق والعيش والسلاح. مما أدى إلى استسلام شقيقي الأمير عبد القادر مصطفى وسعيد، والخليفة بن سالم بينما قتل خليفة الأمير البوحميدي مسموما بالمغرب[2]»

«كانت مدة تولية الأمير سبعة عشر عاماً، منها اثنتا عشرة كانت على غاية ما يكون من الراحة والسرور والبسط، وإن حصل فيها بعض المحاربة فليست بمكدرة كل التكدير ولا مشوشة للأهالي، إذ كانت تشتعل فيها نار الحرب ثم تنطفئ سريعاً لعدم توجه الفرنسية فيها لمسلك بقية الإقليم، وأما بقية تلك الأعوام فكانت على غاية ما يكون من الشدة والعذاب الأليم، إذ الكروب كانت فيها متوالية والحروب متتابعة، فقد وقعت فيها بين الأمير وبينهم حروب متصلة متعددة لها أيام وليال مشهورة.[3]»

[1]-- صادق دهاش، الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص114.

[2]-العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص160.

[3]-الأمير أحمد بن محي الدّين الجزائري الحسني، سيرة عن الامير عبد القادر الجزائري الحسني، مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري الوطنية، الجزائر،2020، ص61.

ج–بداية النهاية لدولة الأمير

«كانت دولة الأمير تقوم عليها هاجمت القوات الفرنسية جيش الأمير الذي انسحب إلى الونشريس وأنشأ عاصمة "الزمالة "المنتقلة عام 1841 م ثم هاجمته في 16 مايو 1843 بتاغيت، جنوب بوغار ودمرت أهم ممتلكاته واستشهد الكثير من المجاهدين في هذه المعارك من بينهم البطل ابن علال

بعد أن قاوم الأمير وأتباعه جيوش الاحتلال خلال أكثر من 17 سنة وتحملوا الكثير من التضحيات والاستشهاد تقهقر الأمير وأتباعه المتناقصين إلى المغرب وقصدوا منطقة الريف الغيورة على الإسلام والعروبة، ورغم التأييد الكبير الذي لقيه من الشعب إلا أن السلطان المغربي لم يعجبه هذا اللجوء، وقد زاده الخوف من البطش وانتقام فرنسا التي هددته بالعقاب.

وبالفعل كانت معركة ايزلي خلال أوت 1844 بين الجيش الفرنسي والمغربي[1].»،«وانتصر فيها الفرنسيون الذين كانت قواتهم البرية بقيادة الجنرال بيجو، بينما كانت القوات البحرية الفرنسية بقيادة الأمير جوانفيل بن الملك الفرنسي لويس فيليب قد ضربت ميناء طنجة يوم 06 أوت وانتهى ذلك كله باتفاقية لالا مغنية (18) مارس (1845) التي رسمت الحدود بين المغرب والجزائر المحتلة حسب رغبة الفرنسيين آنذاك[2].»

مما دفع بسلطان المغرب «**إلى طرد الأمير القادر من المغرب لخوفه من انتقام فرنسا. وما كان عليه إلا العودة إلى الجزائر وبداية مقاومة الظهرة أي في منطقة الظهرة بعد أن انظم إليه الثائر بومعزة، الأمر الذي سمح للأمير بإحراز عدة انتصارات عسكرية محدودة على جيش كافنياك**

[1]– العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص161.

[2]-كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، المرجع السابق، ص52.

خاصة في معركة سيدي إبراهيم غرب الغزوات في أواخر سبتمبر 1845م. ورغم أن ميزان القوة لم يكن لصالح الأمير عبد القادر إلا أن الاستعمار الفرنسي دفع بقوات كبيرة ومجهزة عسكريا تمكنت من تطويق الثائر بومعزة وأتباعه وألقت القبض عليه في مارس 1847 م[1].»

فلم يبق من الحلول...إلاّ التفاوض مع الجنرال" لمور سيار" الذي كان قائدا للجيش الفرنسي بمنطقة الغرب الجزائري.

«فتم التوصل بين الطرفين مبدئيا إلى وقف إطلاق النار والسماح له ولا تباعه بالهجرة إلى المشرق.

وبتاريخ 27 ديسمبر 1847 وبحضور الدوق دومال الحاكم العام الجديد في الغزوات وقعت وثيقة التسليم بعد 17 عام من المقاومة والمعاناة ضد أكبر دولة أوروبية مسيحية وصليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين وعنصرية ومجرمة ضد كل من هو مسلم وعربي، والذكرى درس وعبرة للعاقلين

وكعادة الغربيين في التنكر لما اتفقوا عليه فقد حملوا الأمير عبد القادر أسيرا إلى فرنسا حتى عام 1852 ثم إلى دمشق التي توفي بها[2]

✓ **شبهات طالت شخصية الأمير**

«يعتبر الأمير عبد القادر الجزائري رائدا من رواد المقاومة الجزائرية وشخصية من الشخصيات البارزة العربية الإسلامية ورمزا للجهاد الشعبي ضد أبشع مستعمر غاشم سعى إلى تدمير حضاري شامل فاستطاع أن يربك العدو ويغير من مواقفه فشخصيته ذات بعد إنساني عالمي نالت إعجاب العدو قبل الصديق وهو ما جعل الكثير من المؤرخين والمثقفين خاصة

[1]- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص161.

[2]- كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، المرجع السابق، ص162.

الفرنسيين يتحدثون عنه ويعترفون له بالفضل في عديد القضايا والمواقف التي جابهها كما يجلونه إكبارا لشخصيته وقوة تأثيره .[1]»

«واعترفوا بنبالة أصله الذي يفوق الأمراء الأوربيون على الطريقة القديمة، فهو العربي الوطني المحمدي ذو الرحمة التي تغلب التعصب، يحمل طموحا كبيرا لأنه كان يريد الاستقلال وتحقيق عظمة الشعب العربي (Brossard, 1838, p 14–15)، و وطنيته جعلته يتميز بالقداسة عند كل القبائل، لذلك كان ينتقل بحرية في كل مكان وبدون موكب ولا جيش (Fabar, 1847, p 76).، حيث استطاع منذ البداية خلال العمليات الأولى بوهران في شهر ماي 1832 البروز كقائد عسكري ناجح جذب إليه انتباه العرب، يُقدم على الخطر بسخرية كبيرة (Bellemare. A, 1863, p 32–33) لا تعيقه النيران ولا المنحدرات تمكن بشجاعته وإيمانه ورجاله من محاربة فرنسا لمدة خمسة عشر عاما دون أن يتأثر بعدد جنودها، ودون أن ينهكه التعب من الحرب (klock.(1848, p 18[2])»

«كما يعترف "بير" بروجير" بعظمة طموح الأمير على الرغم من الاتهامات المغرضة التي يلفقها "ليوغرطة" الصغير، فعلى حد وصفه يقول: «ولكن طموحه، وهو أعظم من كل شيء يدفعه إلى الأمام، ولذلك فهو لا يتوقف إلا إذا رأى آخر فرنسي قد ركب آخر سفينة وارتحل أوإذا قامت فرنسا بقصم ظهره هو.[3]»

[1]-طالبي علي، حريشة جمال، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفات خصومه من الفرنسيين -كتابات برنو ايتيين وجان لويس أزان أنموذجا، مجلة المعيار، مج : 14العدد 1 جوان 2023م،جامعة تيسمسيلت، الجزائر، ص1238.

[2]- بودن غانم، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية، العدد 00،أفريل 2021م، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة، الجزائر، ص36.

[3]-شفيق بوطرفة، صورة الأمير عبد القادر في كتابات الرحالة الفرنسيين والألمان، قراءة في نماذج، مجلة فصل الخطاب، مجلد 12، عدد رقم : 01 مارس 2023،جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر،ص85.

«وكتب عنه الضابط السامي في قيادة الأركان ريني دي بان–René de la Tour du–Pin) " رغم هزائمه فإن الأمير عبد القادر كان بدون– ضجيج ولا حرب لا ينتزع (أراضينا) فحسب بل حتى رجالنا ، فكانت القبائل المختلفة تهاجر من حدودنا لتنضم للأمير ، 6 1846 (Du Pin, ونفس الملاحظة كتبها الدكتور بونافون الملحق بالجيش الفرنسي حينما علّق على انتصارات الأمير سنة 1834 حيث قال " :كان الأمير يخرج من هزائمه بسرعة ، وينتصر على الفرنسيين وحلفائهم فتتصاعد قوته... وأخضع تلمسان مجددا واستقبلته بحماس واضح[1](Bonnafont, 1880, p178) »

وعلى نقيض هذه الآراء التي يتسم جوهرها بالموضوعية والإيجابية حول شخصية الأمير عبد القادر كانت هناك أراء مغرضة ومتعصبة تسعى لتشويه صورة الأمير وذلك من طرف خصومه.

«ومن هؤلاء المؤرخ جون بول أزان الذي كتب عنه ولم يعطه المنزلة التي يستحقها فهو عدو لدود له ويتهمه العقيد أزان بالتعصب (محمد الشريف ساحلي، 2008، ص38) من خلال العنوان الفرعي لكتاب الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية الصادر سنة 1925 والخاص بحياة الأمير–1808 Abdelkader 1883dufanti_sme musulman au patristisme francais

وهو يتحدث فيه على أن الأمير قائد متشبع بالذهنية الاستعمارية يفسر الوطنية العميقة لدى الأمير بالتعصب الديني ثم يفسر وفاءه والتزامه بكلمته وبانضمامه وتأييده لقضية الغزو[2].»

[1]- بودن غانم، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، المرجع السابق، ص37.

[2]- طالبي علي، حريشة جمال، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفات خصومه من الفرنسيين -كتابات برنو ايتيين وجان لويس أزان أنموذجا، المرجع السابق، ص 1242.

وأيضا "بيربروجر" الذي قلّل من طموح الأمير بقوله: «**وبعد سنوات أصبح الإبن (النكرة) للمرابط سلطانا للعرب لأن لقب أمير المؤمنين لم يكن كافيا "لطموحه (Berbrugger 1839, p 39)، وهي نفس الفكرة عند الجنرال بروصار (Brossard) الذي تحدث عن إخضاع الأمير لوهران والتيطري والجزائر، وقال بأنه اضطهد العرب حلفاء فرنسا وتخلص من منافسيه بالحرب والسم ليبقى القوة الإسلامية الوحيدة في المنطقة، وتحول من مرابط بسيط وقائد لقبيلة إلى أمير سيد على ثلاث مقاطعات وإلى سلطان منافس للمغرب وتونس ومسيطر على إفريقيا الشمالية. (Brossard), 1838, 18–19**[1]»

«**ومهما اختلفت الكتابات وإن اختلفت في أغراضها بين مؤيد ومعارض يظل الأمير ذو قيمة ثقافية وإنسانية**[2]»، «**مصدر إلهام لأعدائه من الفرنسيين فنفتقت قرائحهم بالكتابة عنه، وخصصوا أوقاتا لذلك رغم ظروف الحرب، وملأ بعض الضباط رسائلهم اليومية ومراسلاتهم بأخباره هو فقط مما يعكس استحواذه على تفكيرهم واهتمامهم**[3].»

[1]- بودن غانم، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، المرجع السابق، صص36-37.

[2]- طاليبي علي، حريشة جمال، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفات خصومه من الفرنسيين -كتابات برنو ايتيين وجان لويس أزان أنموذجا، المرجع السابق، ص1246.

[3]-بودن غانم، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، المرجع السابق، ص41.

الفصل الثّاني: النّسق الحضاري في شعر الأمير عبد القادر الجزائري (دراسة تطبيقية)

- تعريف النّسق
- تعريف الحضارة
- تعريف الثّقافة
- علاقة الحضارة بالثّقافة

✓ التّجربة الشّعرية عند الأمير عبد القادر (النّسق الحضاري)

- النّسق الإنساني
- النّسق الدّيني
- النّسق الثّقافي
- النّسق الاجتاعي
- النّسق السّياسي

تعريف النّسق لغة واصطلاحا:

كثيرا ما يتداول مصطلح النّسق في الحقول النّقدية والأدبية واللّسانية...الأمر الذي يدفع بنا للتّساؤل عن مفهوم النّسق؛ فما هو النّسق؟

النسق لغة:

النّسق في معجم "لسان العرب" «**مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ نِظام وَاحِدٍ، عامٌّ فِي الأَشياء، وَقَدْ نَسَّقْتُه تَنْسِيقاً؛ وَيُخَفَّفُ. ابْنُ سِيدَهْ: نَسَقَ الشَّيْءَ يَنْسُقهُ نَسْقاً.**

ونَسَّقه نظَّمه عَلَى السَّوَاءِ، وانْتَسَق هُوَ وتَناسَق، وَالِاسْمُ النَّسَقُ، وَقَدِ انْتَسَقت هَذِهِ الأَشياء بعضُها إِلَى بَعْضٍ أَي تَنَسَّقَتْ. وَالنَّحْوِيُّونَ يُسَمُّونَ حُرُوفَ الْعَطْفِ حُرُوفَ النَّسَقِ لأَن الشَّيْءَ إِذَا عطفْت عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ جَرى مجْرًى وَاحِدًا.

... والنَّسَق: مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظام وَاحِدٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لطَوار الحبْل إِذَا امْتَدَّ مُسْتَوِيًا: خُذْ عَلَى هَذَا النَّسَق أَيْ عَلَى هَذَا الطَّوارِ؛ وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ مسجَّعاً، قِيلَ: لَهُ نَسَق حَسَنٌ. ابْنُ الأَعرابي: أَنسَقَ الرجلُ إِذَا تَكَلَّمَ سَجْعًا. والنَّسَقُ: كَوَاكِبُ مُصْطَفَّةٌ خَلْفَ الثُّرَيَّا، يُقَالُ لَهَا الفُرود. وَيُقَالُ: رأَيت نَسَقاً مِنَ الرِّجَالِ وَالْمَتَاعِ أَي بعضُها إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: مُسْتَوْسِقات عَصَباً ونَسَقا[1].»

كما جاء في معجم-" ابن فارس" – مقاييس اللّغة مادة نسق: «**النّون والسين والقاف أصل صحيح يدلك على تتابع في الشيء. وكلام نسق: جاء على نظام واحد قد عُطف بعضه على بعض. وأصله قولهم: نفر نسق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية. وخَرَزٌ نَسَق: منظم.**

قال أبو زبيد:

بجِيدِ رِيْمٍ كريم زانَهُ نَسَقٌ، يكاد يُلْهِبُه الياقوتُ إلهابَا[2]»

[1]--ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، فصل النون، ج:10، بيروت، لبنان،1414هـ، صص352/353.

[2]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السالم هارون، دار الفكر، ج5، بيروت- لبنان، 1377هـ/1797م، ص420.

ما نستخلصه من هذه التّعريفات اللّغوية أنّ النّسق هو ما كان على طريقة نظام واحد للأشياء وتتابعها وتلاؤمها.

النّسق اصطلاحا:

أمّا اصطلاحا فله معاني واسعة تختلف حسب المجال المعرفي لكل مهتم بالنّسق«**يعرف الدّكتور علي السلمي النّسق فيقول إنّ النّسق مفهوم يعمّ كلّ الكون ، بل إنّ الكون بكامله ليس إلاّ نسقا داخله أنساقاً جزئية تتداخل فيما بينهما ويعرف كمال أبو ديب النّسق بقوله " إنّ النّسق باعتباره كلاًّما واحدا ، هو نقطة البداية التي يمكن انطلاقا منها... تحديد العناصر المكوّنة له**[1]»

والنّسق عند الغذّامي لا يتحدّد عبر وجوده المجرّد، وإنّما يتحدّد عبر وظيفته، ويشرح تلك الوظيفة، فيقول: «**والوظيفة النّسقية لا تحدث إلاّ في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضاً وناسخاً للظّاهر. ويكون ذلك في نصّ، واحد أو في ما هو في حكم النّص الواحد. ويشترط في النّص أن يكون جمالياً، وأن يكون جماهيريا**[2].»

«**النّسق إذن هو مجموعة القوانين والقواعد العامّة التي تحكم الإنتاج الفردي للنّوع وتمكّنه من الدّلالة، ولما كان النّسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثّقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنّوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظّروف الاجتماعية والثّقافية السّائدة، فإنّ النّسق ليس نظاما ثابتا وجامدا ،إنّه ذاتي التّنظيم من جهة ، ومتغيّر، يتكيّف مع الظّروف الجديدة من جهة ثانية، أي أنّه في الوقت الذي يحتفظ فيه**

[1]-جمعة برجوح وبلقاسم مالكية، النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13 ديسمبر،2017م، ص 56.

[2]-عبد الله الغذّامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية)، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، لبنان،2005م،77.

ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيّف المستمر مع المستجدّات الاجتماعية والثّقافية.[1]»

من التّعاريف السّابقة، يمكن القول بأنّ النّسق هو مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي تنتجها وتتحكّم فيها الظّروف المتعلّقة بالفرد والبيئة الاجتماعية.

تعريف الحضارة لغة واصطلاحا

من المصطلحات التي أثارت الاختلاف بين المثقّفين والباحثين مصطلح "الحضارة" وذلك راجع للتنوّع في التّقاليد الثّقافية واللّغوية لمختلف الحضارات؛ فما مفهوم الحضارة؟

الحضارة لغة:

يقول صاحب "مختار الصّحاح": «**الْحَضَرُ بِفَتْحَتَيْنِ خِلَافُ الْبَدْوِ... وَ(الْحَاضِرُ) ضِدُّ الْبَادِي وَ (الْحَاضِرَةُ) ضِدُّ الْبَادِيَةِ وَهِيَ الْمُدُنُ وَالْقُرَى وَالرِّيفُ، وَالْبَادِيَةُ ضِدُّهَا. يُقَالُ: فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ وَفُلَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفُلَانٌ (حَضَرِيٌّ) وَفُلَانٌ بَدَوِيٌّ وَفُلَانٌ (حَاضِرٌ) بِمَوْضِعِ كَذَا أَيْ مُقِيمٌ بِهِ. وَ (الْحِضَارَةُ) بِالْكَسْرِ الْإِقَامَةُ فِي الْحَضَرِ عَنْ أَبِي زَيْدٍ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ بِالْفَتْحِ[2].**»

كما جاءت الحضارة-كذلك في المعجم الوسيط- بمعنى: «**الإقامة في الحضر. قال القطّامي:**

وَمَن تَكُنِ الحضارةُ أَعجَبَتْهُ فأيَّ رجالِ بَاديةٍ ترانَا

[1]- جمعة برجوح وبلقاسم مالكية، المرجع السابق، ص56.

[2]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيرت، لبنان،1986م، ص60.

وضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني. و – مظاهر الرقى العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر. (الحَضَر): المدن والقرى والريف ومن الناس: ساكن الحضّر، ومن لا يصلح للسفر[1].»

وعليه فإنّ الحضارة مشتقّة من الفعل حضر–وهي ضدّ البداوة–بمعنى الإقامة في الحضر، وهي مرحلة تتسم بكلّ مظاهر الرّقي...

الحضارة اصطلاحا:

يعرّف ابن خلدون الحضارة فيقول:« **والحضارة كما علمت هي التفنّن في التّرف واستجادة أحواله والكلف بالصّنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصّنائع...[2]»**

وفي رأي مالك بن نبي أنّه «**يمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنّها جملة العوامل المعنوية والمادّية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكلِّ عضو فيه جميع الضّمانات الاجتماعية اللاّزمة لتطوره[3].»**

«**فالحضارة هي النّقطة البعيدة التي ينبغي أن يؤول إليها كل تغيّر اجتماعي إيجابي. وقد ناقشها من زوايا عدة من حيث جوهرها ومبدؤها، وباعتبار وحدتها وعلاقتها بمنتوجاتها، ومن حيث تركيبها ووظيفتها[4]»**

«**أمّا سيّد قطب فيذكر أنّ الحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها، إنسانياً وخلقياً وعملياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً وفق التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة. وبناءً**

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، مج:1، ط4،2004م، ص181.

[2]– ابن خلدون. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص465.

[3]– مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، مج:1، ط1، دمشق، سورية،1424هـ/2002م، ص42.

[4]–الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان،1427هـ/2006م، ص120.

على هذا فإن المجتمع الإسلامي–وهو المجتمع الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة – هو وحده المتحضر. أما المجتمعات الأخرى التي تنكر وجود الله أصلاً أو تجعل له ملكوت السموات وتعزله عن ملكوت الأرض أو لا تطبّق شريعة الله في نظام الحياة ولا تحكم منهجه في حياة البشر، فهذه كلها مجتمعات جاهلية أو متخلفة[1]»

نستنتج من خلال هذه التّعريفات للحضارة، أنّها التّفنّن في التّرف وصناعة الأشياء، وهي جملة العوامل التي توفّر الضّمانات الاجتماعية اللاّزمة لتطور المجتمع وترقية الحياة.

من خلال التّعريفات السّابقة لكل من النّسق والحضارة، يكون مفهوم النّسق الحضاري: أنّه منظومةٌ شاملةٌ تُشكل هويّة أيّ مجتمع. وهو يضمّ جميع مكونات ذلك المجتمع، من الأفكار والمعتقدات والقيم، إلى النظم السّياسية والاقتصادية والاجتماعية، مرورًا بالفنون والآداب والعلوم.

تعريف الثّقافة لغة واصطلاحا

يعتبر مصطلح الثّقافة من أكثر المصطلحات المعاصرة استخداماً في الدّراسات الإنسانية والاجتماعية والسّياسية والاقتصادية.

وفي العصر الحديث، استخدم المصطلح للإشارة إلى الرّقي الفكري والأدبي والاجتماعي للفرد والجماعات...

الثّقافة لغة

جاء في معجم العين «**قال أعرابي: إني لَتَقْفٌ لَقْفٌ راوٍ رام شاعِرٌ وثَقِفْتُ فلانا في موضع كذا، أي: أخذناه ثَقْفًا، وثقيف: حي من قيس. وحَلٌّ ثَقيف قد ثَقُفَ ثَقافةً، ويُقال: حَلٌّ ثِقيف على قوله: خردل حريف، وليس بحَسَنٍ، والثّقافُ: حَديدَةٌ تُسَوَّى بها الرِّماحُ ونحوه والثّقْفُ**

[1]-عبد الله محمد الأمين النعيم، الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية دراسة مقارنة، ط1، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة، قطر،1434هـ/2012م، ص56.

مصدر الثّقافة، وفعلهُ ثَقِفَ إِذَا لَزِمَ، وَثَقِفْتُ الشيء وهو سرعة تعلمه. وقَلْبٌ ثَقْفٌ، أي: سريع التعلم والتفهم[1].»

كما ورد في معجم مقاييس اللّغة «(ثَقِفَ)**الثّاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرْء الشيء. ويقال ثقفتُ القناة إذا أَقَمْتَ عِوَجَهَا. قال:**

نَظَرَ الْمُثَقِّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا

وتقفتُ هذا الكلام من فلان. ورجل ثَقْفٌ لَقْفٌ، وذلك أن يصيب علمَ ما يسمعه على استواء. ويقال ثقفت به إذا ظفرت به. قال:

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي ... وَإِنْ أُثْقَفْ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا وَجْهُ قُرْبِ هَذَا مِنَ الْأَوَّلِ؟ قِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ إِذَا ثَقِفَهُ فَقَدْ أَمْسَكَهُ. وَكَذَلِكَ الظَّافِرُ بِالشَّيْءِ يُمْسِكُهُ. فَالْقِيَاسُ بِأَخْذِهِمَا مَأْخَذًا وَاحِدًا[2].»

وعليه، يمكن استنتاج مما سبق أن الجدر اللّغوي (ثَقِفَ) له عدة معاني في المعاجم العربية منها:

-الظّفر بالشّيء والتّمكّن منه.

- حيّ لقبيلة عربية.

- أداة حديدية تُستخدم في صناعة الرّماح.

-إقامة الشّيء وإحكامه.

-فهم وإدراك مراد المتكلّم.

[1]- الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، لبنان،2003م، ص204.

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان،1422هـ/2001م، ص169.

الثّقافة اصطلاحا

يرى "مالك بن نبي" بأنّ الثّقافة هي: «**مجموعة من الصّفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثّر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه**[1]»

والثّقافة عند" عودة عمر الخطيب" هي:«**كلمة ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة، وتعني – في إطارها العام – آفاقا ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعلائق الإنسانية ونحوها**[2] ...»

ولفظ الثّقافة عند الجابري «**هو ترجمة لكلمة culture الفرنسية التي تدلّ في معناها الحقيقي الأصلي على فلاحة الأرض وأيضاً على مجموع العمليات التي تمكن من استنبات النباتات النافعة للإنسان والحيوانات الأليفة. أما في معناها المجازي فتدل أولاً على تنمية بعض الملكات العقلية بواسطة تداريب وممارسات، كما تدل ثانياً على مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية ملكة النقد والذوق والحكم**[3]»

في الأخير نستطيع التّأكيد على أنّ الثّقافة مفهوم غني وواسع، يزخر بتعريفات متعددة تُعكس تنوع مناهج الباحثين. فهي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تربط سلوك الفرد بنمط الحياة التي ولد فيها، ويشمل المصطلح في اطاره العام وجهات نظر ومستويات تتعلق بالأفكار والسلوكيات والنظم والعلاقات ...

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر،ط4،دمشق،سورية،1984م، ص74.

[2]-عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، موسوعة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان،1399هـ/1979م، ص22.

[3]- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية،ط1،بيروت، لبنان،1990م، صص 22/21.

علاقة الحضارة بالثّقافة

«يعمد بعض الباحثين إلى إيجاد فواصل بين مدلولي كلمتي: (الثّقافة) و (الحضارة) بحيث يجعل الأولى خاصة بالأمور المعنوية، والثّانية بالأمور المادية. وقد يكون لهذا ما يبرره، غير أنّ الإلحاح على مثل هذه الفواصل في مدلول كل من الكلمتين إنّما يعود – من حيث الأصل – إلى ما يحيط بهما من لبس وغموض في النّطاق اللّغوي، وجاءت الاستعمالات العامة الدّارجة لهما عاملاً يزيد في هذه التفرقة، ويعمق هذه الفواصل.

درجت الاستعمالات الشائعة لكلمة (ثقافة) على أنها [1]:» « تشمل كل ما يتعلق بالجوانب اللامادية من الحياة الاجتماعية كالأفكار والأساطير والمعتقدات والصور والفن والأدب والقيم والأخلاق والمعايير، أما الحضارة فتشمل الجوانب المادية من الحياة الاجتماعية في مجال الإبداع الإنساني في العلوم والصنائع وكل التطبيقات العملية، وهي تفرقة في الحقيقة غير كافية إذ أننا لا نستطيع التمييز بين هذين الجانبين الذين يتداخلا[2].»

«وإنّ مما يؤكد ...علاقة التّلازم بين الثّقافة والحضارة، وتجاوب ما تدلان عليه من الناحيتين المادية والمعنوية – من غير الحاج على الفواصل بينهما – أن الحضارة إذا كانت هي التطبيق المادي للتراث الثّقافي، فهي – من ناحية أخرى – وليدة هذا التراث في البيئة التي تقوم فيها. ثمّ إنّها كذلك المرآة التي تعكس لنا مقومات ثقافة المجتمع وخصائصها العامة.

من هذا كله ينبغي أن لا نوسع الهوة التي تفصل بين اللّفظين، ولا ضير إذا أطلقنا كلمتي: ثقافة أو حضارة على مفاهيم واحدة، بحيث تتحرر من الخط النظري الذي يفصل بينهما، ولا يلزم من وصفنا الحضارة بأنّها أعمّ من الثّقافة الإلحاح على إيجاد فاصل في المدلول بينهما من

[1]- عمر عودة الخطيب، المرجع السابق، ص42.

[2]- عبد الرحمان كعواش، الحضارة والثقافة: المفهوم والظاهرة، أوجه التشابه والتقاطع والإختلاف، مجلة رفوف، مج:11، العدد:01، مخبر المخطوطات-جامعة أدرا، الجزائر، جانفي 2023م، ص516.

حيث الاستعمال، فذلك هو ما وصفناه بالخط النظري الذي لا ينبغي أن يقيم من حيث الإطلاق العام حاجزاً بينهما. وإن كان يُقبل – في إطار البحث في المصطلحات – الإشارة إلى ما بين هاتين الكلمتين من فروق[1].»

«ومن هنا نرى أن التفرقة بين الثّقافة والحضارة ليست ضرورية؛ وذلك لأن المظاهر الحضارية المادية والمعنوية تتضافر جميعاً في إنشاء النظم الاجتماعية التي تمثّل بالنسبة للثّقافة عصب الحياة لها، ولا يمكن أن يتجاهل أيّ إنسان ذلك التجاوب الواضح، والتّفاعل الدّائم بين الأمور المعنوية والأمور المادية في المجتمع، خاصة وأننا عرفنا من المعنى اللغوي للثقافة أنها تدل على المحسوس المادي في فعلها المتعدي، بمعنى تقويم المعوج وتسويته.

وإنّ ممّا يؤكد العلاقة بين الثّقافة والحضارة، أنّ الحضارة إذا كانت هي التطبيق المادي للتراث الثّقافي، فهي من ناحية أخرى – وليدة هذا التراث في البيئة التي تقوم فيها، كما أنها المرآة التي تعكس لنا مقومات الثقافة في المجتمع وخصائصها العامة[2].»

التّجربة الشّعرية عند الأمير عبد القادر (النّسق الحضاري)

رزق الأمير عبد القادر **«موهبة بيانية ناصعة، ساعدت في الإفصاح عما يحمل من آراء ومشاعر، وفي التأثير في الجماعات المحيطة به، والتي سوف تتنوع وتتكاثر يوماً بعد يوم، وهي الموهبة التي ساعدته على أن يكون خطيبًا مؤثرا، وكاتبا موجها، وعالما معبرا عن كثير من دقائق العلم وأسراره التي ما تزال تحتفظ بها مؤلفاته.**

لكن قدرة البيان تلك اشتدت عنده فوصلت إلى مرحلة التعبير الشعري، والشعر كان من مواهب عبد القادر دون شك، وقد غذاه في صباه بهذه المعرفة اللغوية الدقيقة، كما غذاه في

[1]- عمر عودة الخطيب، المرجع السابق، صص 45/44.

[2]-أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، إشبيليا للنشر والتوزيع،ط1،الرياض، المملكة العربية السعودية،1422هـ/2000م،ص21.

فتوته وشبابه ورجولته بهذه المواقف والتجارب الشاقة التي حمل من خلالها قدر أمته في فترة دقيقة من الزمن، وغذاه أيضا بهذه السياحة الروحية الصوفية التي أهلته على مستوى التصوف أن يكون من أقطابه المعدودين وشيوخه المعروفين، ومن أصحاب المؤلّفات القيمة فيه[1].»

«الذي ساهم في تفجر شاعرية الأمير واستثار الجانب الأدبي عنده هو ذلك الحدث الأكبر الذي تعرضت له البلاد بغزو الاستعمار لها واختياره عن طواعية أميرا للجهاد والبلاد إلى جانب جمال طبيعة الجزائر التي استلهم منها عبد القادر أشعاره الخاصة بالوصف، فكان بدويا بطبعه عاشقا للطبيعة، اتخذ من الشعر أداة للتعبير عن أحاسيسه والصور الماثلة في نفسه، ووسيلة للافتخار بتفوقه[2].»

«وإذا كانت هذه التجارب كلها قد غدت موهبة الشعر عنده بروافد قوية، فقد غذاه الشعر نفسه بمجمل الخلال والقيم التي توارثتها الحضارة العربية، وحفظتها في ديوان العرب جيلاً بعد جيل

إن الشعر عند عبد القادر... يمتد إلى تقديم نمط حضاري يرتبط بمجموعة من القيم النبيلة مثل الشجاعة والكرم والفروسية، وحماية الجار والأسير، ويعتبر عبد القادر في عيون الثقافة الغربية والفرنسية خاصة نموذجها الحي ومجسد قيمها التي اكتشفتها هذه الثقافة من خلاله[3].»

[1]- أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط1، الكويت،2000م، صص146-147.

[2]- عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد االقادر الجزائري وأدبه، المرجع السابق، ص68.

[3]- أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، المرجع نفسه، صص147-148.

النسق الإنساني

يُشكّل شعر الأمير عبد القادر علامة فارقة في الأدب العربي، حيثُ يزخرُ بالعديد من القيم الإنسانية النّبيلة التي تُعبّر عن مشاعر الحبّ والتسامح والرحمة تجاه جميع الناس، دون تمييزٍ على أساس الدّين أو العرق أو الجنس.

وتُجسّدُ هذه القيمُ الإنسانيةُ فلسفةَ الأمير عبد القادر في الحياةِ، وتُترجمُ إيمانهُ الراسخ بالوحدة الإنسانيةِ، وضرورةِ التعايشِ السلميّ بين مختلفِ الشعوبِ.

عندما ألمّ المرضُ بالسيدِ محمدِ الشاذليّ، لَمَ يَتوانَ الأميرُ عبدُ القادرِ عن إظهارِ مشاعرِ الودّ والاهتمامِ، فزارهُ صباحًا للاطمئنانِ على صحّتهِ، مُشاركًا إيّاهُ همومَهُ وآلامَهُ.

ولكن قدّر أن يكون السيدِ محمدِ الشاذليّ غائبًا عندَ زيارةِ الأميرِ مساءً، فلمْ يجدْهُ في دارهِ. فما كانَ من الأميرِ إلاّ أنْ تركَ لهُ أبياتًا شعريةً على بطاقةٍ، تُعبّرُ عنْ عمقِ مشاعرِهِ الصادقةِ تجاهَهُ.

وتُمثّلُ هذهِ الأبياتُ شهادةً على الكرمِ والأخوةِ التي جمعَتْ بينَ الرجلينِ، وتُؤكّدُ على قيمةِ الصداقةِ الحقيقيةِ في زمنِ الشدائدِ.

فمن خلالِ هذهِ الزيارةِ والرسالةِ، يُظهرُ لنا الأميرُ عبدُ القادرُ نموذجًا فريدًا للإنسانيةِ والودّ، ونرى كيفَ كانَ يُعاملُ أصدقاءَهُ باحترامٍ وتقديرٍ، مُؤكّدًا على أنّ الصداقةَ الحقيقيةَ هيَ صلةٌ إنسانيةٌ تُبنى على مبادئِ الحبّ والتقديرِ والاحترامِ.

يقول:[1]

خَلِيْلِيَ: قُلْ لِي: كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟! إِنَّنِي تَحَمَّلتُ حُزناً مِنكَ يَعْيَا لَهُ رَضْوَى

لَقَدْ مَرِضَتْ أَرْوَاحُنَا، وَجُسُومُنَا لِشَكْوَاكُمُ يَا لَيْتَ لاَ كَانَتِ الشَّكْوَى

في هذه الأبيات يعبر الأمير عن مشاعر إنسانية نبيلة، حيثُ يُعبّر عن حزنه من شكوى صديقه، ويُؤكّد على أنّ الشّكوى تُؤثّر على الرّوح والجسد، ويتمنّى لو أنّ صديقه لم يشكُ.

ويقول[2]:

فَلاَ تَبْغِ إِتْلاَفِيْ فَمَا لِيَ طَاقَةٌ عَلَى الصَّبْرِ يَارُوحِيْ وَلَسْتُ لَهُ أَقْوَى

وَإِنِّيْ لَأَرْجُو نِعْمَةَ اللهِ بِالشِفَا عَلَيْكَ لِتَحْظَى بِالسُّرُورِ كَمَا تَهْوَى

تظهر هذه الأبيات الحالة النّفسية للأمير، المتمثّلة في صراع داخلي وخارجي:

- **داخلي** :بين مشاعره المتضاربة، مثل الخوف والأمل.
- **خارجي** :مع صديقه الذي يعاني من المرض.

مشبّها صديقه بروحه، ونفسه بالشّيء الذي يمكن إتلافه، وقد ساعد التّضاد بين مشاعر الأمير على إبراز الحالة النفسية التي يعاني منها.

يظهر الأمير من خلال هذه الأبيات عاطفة إنسانية كبيرة في التّعبير عن مشاعر الحب الصّادق والوفاء لصديقه مؤكدا على أهمّية التّفاؤل والأمل في الشّفاء والسّعادة.

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية التأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية،1960م، ص62

[2]- المرجع نفسه، ص62.

كما تُعدّ قصيدة "**جودي بطيف**" للأمير عبد القادر من القصائد التي تُعبّر عن المشاعر الإنسانية بِكُلّ أبعادها. ففي مطلعها، يناجي الشاعرُ زوجتهُ داعيًا إيّاها أنْ تُسْعِدَهُ بِرؤيتها ولو في المنام، قائلا[1]:

جَفَانِيَ مِنْ أُمِّ البَنِينِ خَيَالُ فَقَلبِي جَرِيْحٌ وَالدُّمُوعُ سِجَالُ

وَلَو قُلتُ دَمْعِي قَدْ مَلَكْتُ فَكَاذِبٌ بِدَعْوَايَ بَلْ ذَا غرّةٌ وَضَلَالُ

في هذين البيتين، يظهر الشّاعر عاطفةً تُجسّد مشاعره المتأججة تجاه زوجته التي هجره خيالها، مثل الرّيح التي تُثير الرّمال، تاركاً إيّاه في صحراء من الحزن، ممّا أدّى إلى شعوره بالجرح والألم.

ويُكذّب الشّاعر نفسه لو ظنّ أنّه قد تمكّن من التحكّم بدموعه، فهو لا يستطيع إيقافها، وكأنّ دموعه تلك ماء غزير يتدفّق من ينابيع لا تنضب، أو ساحة معركة حيث تُراق الدّماء بشكل مستمر.

ويستمر الأمير في بث لواعج هواه في القصيدة نفسها، حيث يردف قائلا[2]:

وَبَيَ مَا يُزِيلُ العَقلَ عَن مُسْتَقَرِّهِ فَلا تَعْجَبُوا إنْ قيلَ فيهِ خَبالُ

وَمَا هِيَ إلاَّ الرّوحُ بَلْ إنْ فَقَدْتها فَإنَ بَقائِي دونَهَا لَمُحَالُ

يُشير الشّاعر إلى أنّ ما يجده في نفسه يُفقده صوابه ويُزيله عن اتزانه. ويطالب بعدم الاستغراب من تصرّفاته الغريبة، فهو لا يملك زمام عقله، بل هو رهين مشاعره الجياشة.

كما أنّه يُشبّه زوجته بالرّوح، التي تُعطي الحياةَ معنىً وتُضفي عليها جمالًا، مؤكّدًا على استحالة بقائه دونها، فهي مصدر الحياة وسر وجوده، وذلك للتّأكيد على أهميتها في حياته، معبّرا عن مشاعرهِ بصدقٍ وعفويةٍ.

[1]-ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص43.
[2]- المرجع نفسه، ص43.

وبعد طولِ تَأَسٍّ، يَتَمَنّى الشاعرُ رُؤْيَاها في أحلامه، فيَقولُ[1]:

أَحِبُّ اللَّيَالِي كَيْ أَفُوزَ بِطَيْفِهَا وَأَرْجُو الْمَنَى بَلْ قَدْ أَقُولُ أَنَالُ

أُكَلِّفُ جُفْنِي النَّوْمَ عَلِّيَ أَنْ أَرَى مِثَالًا لَهَا، يَسْرِي، وَلَيْسَ مِثَالُ

يُعبّرُ الشاعرُ في هذين البيتين عن شوقِهِ العارمِ إلى زوجتهِ، فيُقرّ بِحُبّهِ للّيالِي لأنّها تُتيحُ لهُ فرصةَ رؤيتها في أحلامهِ. ويُؤمّلُ الشّاعرُ أنْ يُحقّقَ رغبتهُ في رؤيتها، بل ويصلُ بهِ الأمرُ إلى الاعتقادِ بأنّهُ قد حقّقَها بالفعلِ.

ويُعاني الشّاعرُ من الأرقِ بسببِ شوقهِ إلى زوجته، فهو يُجبرُ جفونهُ على النّومِ لكي يرى مثالًا لها في أحلامهِ. لكنّهُ لا يرى سوى خيالها وليس صورتها الحقيقيةِ.

ويُشيرُ أيضا إلى أنّ خيالَ زوجته يسري في أحلامهِ، لكنّهُ ليسَ مثالًا حقيقيًّا لها. وهذا يُشيرُ إلى أنّ الشوقَ قد غلبهُ، فلمْ يَعُدْ يميّزُ بينَ الواقعِ والخيالِ.

ويعبر هذين البيتين عن عمقِ مشاعرِ الشّاعرِ تجاهَ زوجتهِ، وكيفَ أنّ الشوقَ قد غلبهُ، فلمْ يَعُدْ يرى سوى خيالها في أحلامهِ.

فاستخدامُهُ لِفعلِ المضارعِ في البيتِ الأوّلِ يُشيرُ إلى استمرارِ مشاعرِهِ وحُبّهِ للّيالِي، فهيَ ليستْ مجرّدَ حبٍّ عابرٍ، بل هو حبٌّ عميقٌ متجذّرٌ في نفسهِ.

ويُؤَكّدُ استخدامُهُ لِحرفِ التّحقيق "**قد**" في البيتِ الأوّلِ على قوّةِ إيمانِهِ بتحقيقِ رغبتهِ في رؤيةِ زوجتهِ، فهو ليسَ مُجرّدَ أملٍ عابرٍ، بل هو إيمانٌ راسخٌ بأنّهُ سيُحقّقُ رغبتهُ

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص43.

ويُبرزُ استخدامُهُ لِلفعل "**أُكَلِّفُ**" في البيتِ الثانِي إصرارَهُ على رؤيةِ زوجتهِ حتّى في أحلامهِ، فهو ليسَ مُستسلمًا لواقعِهِ، بل هو مُصرٌّ على تحقيقِ رغبتهِ بكلّ ما أوتي من قوّةٍ.

ويُشيرُ استخدامُهُ لِكلمةِ "**مِثَالًا**" في البيتِ الثانِي إلى أنّ الشاعرَ لا يرى سوى خيالِ زوجتهِ وليس صورتها الحقيقيةِ، فهو حبٌّ روحيٌّ عميقٌ لا يُمكنُ قياسُهُ بِالمعاييرِ الماديّةِ.

ويُؤَكّدُ استخدامُهُ لِحرفِ النّفيِ "**ليس**" في البيتِ الثانِي على أنّ خيالَ زوجتهِ ليسَ مثالًا حقيقيًّا لها، فهو حبٌّ فريدٌ من نوعهِ لا يُمكنُ مقارنتهُ بأيّ حبٍّ آخر.

سعى الشّاعر في هذين البيتين إلِي ابتكارِ صورٍ جديدةٍ للتعبيرِ عن مشاعرهِ الجيّاشةِ تجاهَ زوجته، ورسمِ صورةٍ حيّةٍ تُجسّدُ عمقَ شوقهِ وحُبّهِ لها.

وختاما، يُخاطبُ الأميرُ مُقرّبِي زوجته، ليُعبّرَ عن مشاعرهِ الصّادقةِ التي تُخالجُهُ، ويُناجيهم بكلماتٍ عذبةٍ مُفعمةٍ بالحبّ والامتنان، ليقول لهم[1]:

فَقُولُوا لَهَا إِنْ كُنتِ تَرْضَينَ عَيْشَتِي فَجُودِي بِطَيْفٍ إِنْ يَعِزُّ وِصَالُ

فَيَنْعَمُ قَلْبِي وَالْجَوَارِحُ كُلُّهَا وَإِلّا فَعَيْشِي مِحْنَةٌ وَوَبَالُ

ينسابُ نبعُ الحبّ الصادقِ من قلبِ الشاعرِ ليُروي عطشَ روحِهِ، مُتدفّقًا على هيئةِ أبياتٍ شِعريّةٍ تُعبّرُ عن مشاعرهِ العميقةِ تجاهَ زوجتهِ.

ففي البيتِ الأولِ، يُخاطبُ الشّاعرُ مُقرّبِي زوجتهِ، ويُؤَكّدُ على رغبتهِ في عيشِ حياةٍ سعيدةٍ معها، مُتوسّلًا إليهم لِتوصيلِ مشاعرهِ إليها.

ويُعبّرُ في البيتِ الثانِي عن شعورهِ بالحبّ والامتنانِ تجاهَ زوجتهِ، ويُؤَكّدُ على أنّ وصالَها يُنعشُ روحَهُ ويُضفي السعادةَ على جميعِ جوانبِ حياتهِ.

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص43.

وفي عجز البيت الثاني، يُحذّرُ الشّاعرُ زوجتهُ من عواقبِ رفضِها لهُ، ويُؤكّدُ على أنّ عيشهُ بدونَها سيكونُ مِحنَةً ووبالًا.

ويُستخدمُ الشّاعرُ أسلوبَ التّضادّ في قولهِ "**فَيَنْعَمُ قَلْبِي وَالْجَوَارِحُ كُلُّهَا**" و "**فَعَيْشِي مِحْنَةٌ وَوَبَالُ**" لِتأكيدِ الفرقِ بينَ الحياةِ معها وبدونها.

تُعبّر هذه الأبيات عن مشاعر التّقدير والاحترام التي يكنّها الشّاعر لزوجته. فطيفها بمثابة فسحةٍ للقاءٍ مُؤقّتٍ، يُخفّف من حدة شوقه ورغبته. فهو يرى فيها الكمال، ولا يُلاحظ أيّ عيوب. ويؤكّد على أنّ الحبّ الصادق هو أقوى المشاعر الإنسانية، فهو يملك القدرة على تغيير مجرى الحياة.

النّسق الديني

يُشكّلُ النّسقَ الدّيني جوهر شعرِ الأميرِ عبدِ القادرِ، ويُضفي عليهِ هالةً من الروحانياتِ العميقةِ، ويُجسّدُ إيمانه الراسخَ باللهِ تعالى وتعلّقهُ بالدّينِ الإسلاميّ الحنيفِ.

فكان الدّين الإسلامي حاضرًا بشكلٍ جليّ في ثنايا شعرِه، حيثُ عبّر عن إيمانهِ العميق وتصوفهِ، وربط بين هموم أمتهِ ومصيرها وبين القيمِ الدينيةِ والأخلاقيةِ.

وتتجلّى روعةُ النسقِ الدينيّ في شعرِ الأميرِ عبدِ القادرِ في ثنايا العديدِ من قصائدهِ البديعةِ، فكأنّ كلّ بيتٍ منها ينبضُ إيمانًا عميقًا وتصوّفًا راقيًا.

في عصرٍ طغت فيه المادّةُ، انزوتْ بعضُ النفوسِ في أبراجِ أفكارِها، تُعبدُها كإلهٍ يُحققُ لها الخلاصَ من قيودِ الواقعِ.

لكنْ، عبادة الفكرةِ، مهما عظمت، تبقى فكرتها فكرةً بشريةً محدودةً، لا تُحيطُ بكلِّ جوانبِ الحياةِ، فقد تُصبحُ سجنًا يُحبسُ فيهِ الإنسانُ عن رؤيةِ الحقيقةِ.

لذلك، حذّر الأميرُ عبدُ القادرِ في قصيدتِهِ "**عابدُ فكرةٍ**" (التي لا تخلو من بعض الهنات العروضية) من خطورةِ عبادةِ الفكرةِ، وشدّدَ على أهميةِ التّوازنِ بينَ العقلِ والإيمانِ.

يقول في مطلع القصيدة:[1]

يَا مَن غَدَا عَابِدًا لِفِكرِهِ فَقِفْ فَأنتَ يا غافِلًا على شَفا جُرُفٍ

جَعَلْتَ عَقْلَكَ هَادِيًا وَنُورَ هُدَى أَضَلَّكَ العَقْلُ أَينَ أَنتَ فِي تَلَفٍ

من خلال هذا التّعبير مُفعمٍ بالحكمة والنّصح، يُحذّر الشّاعر من اتباع الفكر دون وعيٍ أو إدراكٍ، مُؤكّدًا على أهمّية استخدام العقل كبوصلةٍ تُرشدنا إلى طريق الصّواب. كما يُشير إلى أنّ اتباع الفكر دون وعيٍ قد يُؤدّي إلى الضّلال والهلاك، فالعقل هو النّور الذي يُضيء لنا دروب الحياة ويُساعدنا على اتّخاذ القرارات الصائبة.

ففي تضاد المعاني بين "**عابدًا**" و"**غافلًا**" و"**هاديًا**" و"**أضَلَّكَ**" يَبرزُ الصراع بين العقل والفكرة، بين الوعيِ والغفلةِ، بين النورِ والظلامِ.

ويقول أيضا في نفس القصيدة:[2]

نُحْتَ رُبَّمَا كَمَا تَهْوَى وَقُلْتَ بِهِ تَظَلُّ تَعْبُدُ مَا خَلَقْتَ فِي شَغَفِ

صَوَّرَتَهُ صُورَةً بِالْوَهْمِ بَاطِلَةٌ حَكَمْتَ جَوْرًا عَلَيْهِ جَوْرَ مُتَعَسِّفِ

من هذين البيتين تصدح صرخة مدَوية ضدّ عبادة الأوثان، وتُحذّر من مخاطر الوهم والظّلم اللّذين ينتج عنهما هذا الفعلُ الشّنيع.

[1]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م،تح: العربي دحو،ط3،دار ثالة، الجزائر، 2007م، ص127.

[2]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 127.

فالصّنمُ ليس إلّا صورةً وهميةً لا وجود لها في الواقع، وعبادتهُ ظلمٌ كبيرٌ يُحكمُ به الإنسانُ على نفسه بالعبودية لغير الله تعالى.

هذانِ البيتانِ يمثّلان دعوةً صريحةً إلى التّوحيدِ وعبادةِ اللهِ تعالى وحده، فهو الخالقُ الرّازقُ، وهو المستحقّ للعبادة دون سواه. عبادةُ اللهِ هي النّورُ الذي يُبدّدُ ظلماتِ الجهلِ، ويُنيرُ دروبَ الحياةِ، ويُؤدّي إلى السّعادةِ والفلاحِ في الدّنيا والآخرةِ.

يواصلُ الشّاعرُ إشارته إلى بعضِ الأفكارِ الخاطئةِ التي قدْ يأخذها بعضُ النّاسِ عن اللهِ تعالى، مثلَ تشبيهه بالخلقِ، أو حصره في مكانٍ أو زمانٍ. قائلا[1]:

حَكَّمْتَ عَقْلَكَ فِي الرَّبِّ الْعَظِيمِ فَمَا تَنْفَكُ تَحْكُمُ فِيهِ حُكْمَ ذِي سَرَفِ

تَقُولُ لَيْسَ كَذَا وَلَيْسَ هُوَ كَذَا الحَقُّ فِي طَرَفٍ وَأَنْتَ فِي طَرَفِي

قَيَّدْتُمُ مُطْلَقًا لا قَيْدَ يَحْصُرُهُ القَيْدُ حَدٌّ وَلَيْسَ اللَّهُ كَالْهَدَفِ

يخاطبُ الشّاعرُ في هذه الأبيات شخصًا مُغرورًا بعقلهِ يحاول جاهدا فهم الله بالعقل فقط والعقل لا يُمكنُهُ أنْ يُحيطَ بِكُنهِ اللهِ تعالى، وأنّ فهمَ اللهِ تعالى لا يتحقّقُ إلاّ بِالإيمانِ والوحيِ.

مؤكّدا على أنّ الحقّ لا يُمكنُ حصرُهُ في طرفٍ واحدٍ، وأنّ اللهَ تعالى هوَ الحقّ المطلقُ الذي لا يُشبهُهُ شيءٌ ويُمكنُ اعتبارُ البيتِ «**قَيَّدْتُمُ مُطْلَقًا لا قَيْدَ يَحْصُرُهُ...**[2]» نقدًا لبعضِ الأفكارِ الفلسفيةِ التي تُحاولُ حصر اللهِ تعالى في حدودٍ عقليةٍ، مشيرا إلى أنّ القيدَ يُمثّلُ حدًا، وأنّ اللهَ تعالى لا يُشبهُ أيّ شيءٍ في هذا الكونِ.

يستمر الشاعر في إثباتِ عظمةِ اللهِ وجلالِهِ، مُقارعًا شُبهاتِ المنكرِ لصفاته، مستخدما الأدلة العقلية والنقليةِ التي تُؤكّدُ على صفاتِ اللهِ تعالى بأسلوبٍ منطقيٍّ وعقلانيٍّ.

[1]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 128.

[2]- المرجع نفسه، ص128

يقول:[1]

فَكيفَ تَنْكُرُ وَصْفَهُ حَقِيقَتهُ نَفَيْتَ ما أَثْبَتَ الْقُرْآنُ في صُحُفِ

لَوْلاَ تَوَهُّمُ أَنَّ النَّقْصَ يَلْحَقُهُ لَمَا نَفَيْتَ، فَإِنَّ النَّفْيَ بَعْدَ يَفِي

الحَقُ في مَشْرِقٍ وَالعَقْلُ في مَغْرِبٍ شَتَّانَ ما بينَ ذا وذا فَلا تَخَفِ

عَلَيْكَ بِالشَّرْعِ فَالْزَمْ طَرِيقَتَهُ فَحَيْثُمَا سَارَ سِرْ وَإِنْ يَقِفْ فَقِفِ

إِنْ قالَ ليسَ كَمِثْلِي شيءٌ قُلْ هُوَ ذَا أَوْ قَالَ لِي أَعْيُنٌ فَقُلْ بِذَا كَلَفِي

يستغرب الشاعر من المنكر لوصف وحقيقية الله تعالى، مُؤكدًا أنّ هذه الصّفة مثبتة في القرآن الكريم. ويُشير إلى أنّ إنكار هذه الصّفة ناتج عن توهّم الشّخص أنّ إثباتها يُلحق النّقص بالله، بينما يُؤكد الشّاعر أنّ إثباتها يُشير إلى كماله.

ويظهر الشّاعر أنّ الحق والعقل متباعدان، مؤكّدا على أنّ "**الحق**" ثابتٌ ومطلقٌ لا يقبل الشّك، بينما "العقل" نسبيٌ وقابلٌ للخطأ. ويُدعو إلى عدم إخفاء هذا التّناقض، لأن "**الحق**" هو المصدر الوحيد للمعرفة والحقيقة.

وقد استخدم الشّاعر فعل الأمر "**عليك**" و"**الزم**" بشكل مباشر، ليحثّ المخاطب على اتباع تعاليم الدّين الإسلامي.

واستخدم أيضا أسلوب المقابلة في قوله: "**فَحَيْثُمَا سَارَ سِرْ**" و" **وَإِن يَقِفْ فَقِفِ**" ليُظهر ضرورة الالتزام بالشّرع في كل الأحوال.

كما ينكشفُ لنا ممن خلال ترابط شطر البيت القائل: «**إِنْ قالَ ليسَ كَمِثْلِي شيءٌ قُلْ هُوَ ذَا...**[1]» مع الآية (11) من سورة الشورى قوله تعالى: «**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ...**[2]» سرٌّ عظيمٌ

[1]-. ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق،128.

من أسرارِ الوجودِ، ألا وهو وحدانيّةُ اللهِ تعالى. تتجلّى هذه الوحدانيّةُ في الآيةِ بوضوحٍ من خلالِ نفيِ المثيلِ عن اللهِ تعالى، بينما يُضفي شطر البيت على هذا المعنى لمسةً من التأمّلِ والمشاعرِ الجياشةِ.

بعدَ أنْ تحدّثَ "الأميرُ" عنَ ضرورةِ الالتزامِ بالشرعِ في جميعِ الأحوالِ، وانتقدَ المنكر لصفاتِ اللهِ تعالى، يؤكد لنا مرة أخرى– في رحاب عظمة الله التي لا تحاط، وكماله الذي لا يضاهي، وجلاله الذي لا يوصف– على أهمية العلم والمعرفة في فهم الله تعالى، محذّرا من خطورة الشرك به.

..يقول:[3]

شَبِّهْ تَرَهُ فِي التَشْبِيهِ حَتّى تَرَى مَنَزَّهًا أَخَا تَشْبِيهٍ بِلاَ جَنَفِ

لَا شَكَّ أَنَّكَ يَومَ الحَشْرِ تُنْكِرُهُ إِذْ تَجَلَّى لِجَمْعِ الخَلْقِ وَالسَّلَفِ

وتَستَعِيذُ عِيَاذًا مِنْهُ جَهْلًا فَيَا خَسَارَةَ العَقْلِ يَا وَيْلَهَا مِنْ صَدَفِ

عِنْدِي مِنَ العِلْمِ لُبُّهُ وَجَوْهَرُهُ وَالنَّاسُ أَعْيُنُهُمْ تَرْنُو إِلَى الصَّدَفِ

يُشدّدُ الشّاعرُ على عظمةِ اللهِ تعالى وتنزيهِهِ عن أيّ نقصٍ أو شبيهٍ، مُؤكّدًا أنّ أيّ محاولةٍ لتشبيهِهِ بغيرِهِ تُعدّ تجاوزًا لا يُغتفر.

لذلك، ذِكْرُ يَومِ الحشْرِ هو بمثابةِ تذكيرٍ بِعظمةِ اللهِ تعالى وقدرتِهِ، ذلك اليومُ الذي ستنكشفُ فيهِ حقيقةُ المشركينَ، عندما يتجلّى اللهُ تعالى لِجَميعِ الخلقِ، فينكرونَ ما عبدوهُ في الدنيا، مُدركينَ خطأَهم وعبثَ إيمانهم.

[1]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 128.

[2]-سورة الشورى، الآية 11.

[3]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 128.

كما يقدم رؤيةً عميقةً لأهميةِ العلمِ وضرورةِ التّمسّكِ بهِ، مُحذّرًا من مخاطر الجهل وضياع العقل! حيث يُعبّر عن قيمة العلم الحقيقية، مبيِّنًا أنّ العلم هو جوهر الحياة ولبّها، بينما الأشياء المادية هي قشور لا قيمة لها.

يُعبّرُ الشاعرُ في ختامِ القصيدةِ عن فلسفتهِ التي يؤمنُ بها من خلالِ انتقادهِ للعوائدِ والتقاليدِ التي تُعيقُ تقدّمَ النّاسِ، وتأكيدهِ على أهميةِ السّعيِ وراء العلمِ والمعرفةِ، وحزنهِ على ضياعِ جيلٍ ضاعَ في عوائدهِ، وتأكيدهِ على أهميةِ السّعيِ وراء العُلاَ والشّرفِ.

يقول:[1]

قَدْ قَيَّدْتُمْ عَوَائِدَ وَثَبَّطَهُمْ تَقْلِيدُ مَنْ يَمْشِي نَحْوَ الظُّلْمَةِ السَّدَفِ

فَلَوْ وَجَدْتُ لَهُ أَهْلًا لَبُحْتُ بِهِ مُسْتَخْرِجًا كَنْزَهُ الْمَحْفُوظَ بِالطَّرَفِ

يَكُنْ أَهْلُهُ قَدْ مَضَوْا فَلَا طَالِبٌ تَلْقَاهُ يَسْمُو إِلَى الْعُلْيَا وَالشَّرَفِ

يُؤَكّدُ الشّاعر في هذه الأبيات الثّلاث، على أنّ تقليدَ العوائدِ والتقاليدِ السلبيةِ يُؤدّي إلى ضياعِ النّاسِ وضلالهم عن طريقِ الحقّ، مشبها تقليدهم للعوائدِ والتقاليدَ بِمَشْيِهم نحوَ الظلامِ، حيثُ لا يُمكنُهم رؤيةُ النورِ والهدايةِ!

كما يعبّر عن رغبتهِ في مشاركةِ أمرٍ عظيمٍ مع من يفهمُ قيمتَهُ، ويُشبّهُ هذا الأمرَ بِكنزٍ مُحفوظٍ في مكانٍ آمنٍ، لا يُمكنُ لأيّ شخصٍ الوصولُ إليهِ إلاّ من كانَ مُستحقًّا لذلكَ، مؤكدا على أنّ هذا الأمرَ ذا قيمةٍ كبيرةٍ، وأنّهُ يبحثُ عمّن يُشاركهُ فيهِ لِيُفيدَ منهُ النّاسُ! فلو وجدَ من يفهمُ قيمةَ هذا الأمرِ، لبحثَ فيهِ وسعى لِاستخراجِ كنزِهِ الّذي هو مُحفوظٌ في مكانِهِ.

[1]- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 128.

يخلص الشّاعر في البيتِ الآخير من القصيدة إلى حقيقة مفادها أنّ موتَ أصحابِ العلمِ والمعرفةِ يُؤدّي إلى ضياعِ هذا العلمِ والمعرفةِ، وأنّهُ لا يُوجدُ من يسعى لِتعلمِهِ والوصولِ إلى المكانةِ الرفيعةِ والشرفِ.

القصيدة في مجملها تعبِّرُ عن مضمون ديني عميق في صراعٍ بينَ العقلِ والإيمانِ وتُؤكّدُ على أنّ الإيمانَ باللهِ تعالى هو أساسُ السّعادةِ والنّجاحِ في الدّنيا والآخرةِ.

النّسق الثّقافي

يُؤسّسُ الأمير عبد القادر شعره على مركزية الأنا، حيثُ تُصبحُ "الأنا" محورًا لقصائده ومرتكزًا أساسيًا لبناءِ خطابه الشعري. تُجسّدُ هذهِ المركزيةُ وعيًا عميقًا بالذاتِ، وإيمانًا راسخًا بالقيمِ العربيةِ والإسلاميةِ. كما تُمثّلُ "الأنا" مُنطلقًا لِلتعبيرِ عنْ تجاربهِ الشخصيةِ، ومشاعرهِ الإنسانيةِ، ورؤيتهِ الفلسفيةِ للحياةِ..

وتأتي "الأنا" –في شعر الأمير– غالبا بضمير الجمع "**نا**" المتصل، تعبيرًا فريدًا عن الذات المنصهرة في روح الجماعة، فهي تعتبر جزءًا لا يتجزّأ من نسيجٍ اجتماعيٍّ يُشاركها أفراحها وأحزانها، وآمالها وطموحاتها.

وتُمثّل هذه "الأنا" شعورًا عميقًا بالانتماء والترابط بين أفراد الجماعة، حيث تُصبح الأهداف والرؤى مشتركة، وتُصبح الذات الفردية جزءًا من كيانٍ أكبر.

وتُصبح الأنا أكثر من مجرد كيانٍ فرديٍّ، بل تُصبح رمزًا للانتماء والترابط والوحدة بين أفراد الجماعة.

فمنْ خلالِ ربطِ "الأنا" بِجملةٍ منْ الأنساقِ الثّقافيةِ، يُمكنُنا فهمُ كيفيةِ تفاعلِها معْ العناصرِ الأخرى لِتشكيلِ المعنى.

« والمتصفّح لأشعار الأمير يجدها استهلت بعض أشعار عنترة وأضرابه من الشعراء الجاهليين، واستحضرت مواجد أولئك الشعراء في الإعراب عن الحبّ وإظهار شمائل العزة والكبرياء والفروسية، وضاهتهم في الاعتداد بالخيل، الصافنات الجياد، ومخاطبتها ومقاسمتها المشاعر، كما جراتهم في استعراض المآثر الشخصية من موقع أخلاقي فخري متزن وبعيد عن التبجح"

والأكثر من ذلك، فإن شاعرنا استمد شيئاً من خصائص الأدبية التراثية كما جسدتها تجارب الفحول من أمثال طرفة والنابغة والمتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم (..) ولذلك جاءت قصائد الأمير إحيائية تضع القارئ في جو الشعرية العباسية والأموية والأندلسية، بل وطفقت تقربه من ذوق المعلقات ومن شعر الفروسية فيه خاصة".[1]»

1-الفخر

بعد انتصاراتِهِ المتواليةِ على الجيوشِ الفرنسيةِ، وهزيمتِهِ للقبائلِ التي انضمّتْ إليهمْ بِقيادةِ الخائنِ يوسف المنتصرِ العنابيّ، وقفَ الأميرُ عبدُ القادرُ شامخًا كجبلٍ أبيّ، يُطلّ منْ علوٍّ على ساحةِ المعركةِ، وينظرُ بِفخرٍ واعتزازٍ إلى جيشِهِ الباسلِ الذي هزمَ أعداءَهُ. وفي تلكَ اللحظةِ، تدفّقتْ مشاعرُهُ في قصيدةٍ خالدةٍ، عبّرَ فيها عنْ إيمانِهِ بِقدراتِ الإنسانِ وإمكانياتِهِ في تحقيقِ النّصرِ والعزةِ.

يقول في مطلع القصيدة:[2]

لَنَا فِي كُلّ مَكْرَمَةٍ مَجَالُ وَمِنْ فَوْقِ السِّماكِ لَنَا رِجَالُ

رَكِبْنَا لِلْمَكَارِمِ كُلّ هَوْلٍ وَخَضْنَا أَبْحُرًا وَلَهَا زَجَالُ

إِذَا عَنْهَا توانَى الغيْرُ عَجْزًا فَنَحْنُ الرّاحِلُونَ لَها العُجّالُ

[1]- الحاج جغدم، تجليات الأنساق الثقافية في شعر الأمير عبد القادر الجزائر، مجلة أسلوبيات، المجلد03/العدد02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، سبتمبر 2022م، ص90.

[2]-ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص15

ويقول في القصيدة نفسها:[1]

وَرِثْنَا سُؤدّدًا لِلْعَرْبِ يَبْقَى وَمَا تَبْقَى السّمَاءُ، وَلا الجِبَالُ

فَبِا الجِدِّ الْقَدِيمِ عَلَتْ قُرَيْشٌ وَمِنَّا فَوْقَ ذَا طَابَتْ فِعَالُ

وَكَانَ لَنَا – دَوَامَ الدّهْرِ – ذِكْرٌ بِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ وَلا يَزَالُ

تعبر هذه الأبيات عن فخر ذاتي ينبع من ثقافة قبلية تُعظّم القوّة، وينتج عن هذا الفخر نزعةٌ نحو إقصاء الآخر وإلغائه، بحيث يُنظر إلى تأسيس الذّات على أنه يتطلب بالضرورة هدم الآخر أو محوه.

« **والظّاهر في هذه الأبيات، أن الشاعر يستند في خطابه الشعري على الرصيد الثقافي العربي الإسلامي الذي ورثه عن اجداده وقد شكلت موضوعة الفخر فيه البؤرة المركزية، حيث يقوم على أصل من الأفعال (الكرم، السخاء، الإقدام الشجاعة) فقوله منثوراً : "لنا في كل مكرمة من المكارم مجال نتهيأ فيه، ولنا في كل مأثرة من المآثر مضطرب نتسابق إليه فنخفّ إلى القتال في الهيجاء ، فنسجل "الانتصارات**

وأيّا كان الشأن، فإنّ تنامي "الأنا "النّسقية يتوارثه الشّعراء جيلاً بعد جيل، فينتقل مع الشخصية الوارثة، ثم إلى المجتمع." إنّ من يتفحص أشعار الأمير وتراثه الفكري والصوفي... يؤكد ارتباطه الوثيق بالتراث[2]"»

التراث الذي كأنَّهُ ينسابُ في عروقِ الكلماتِ، حاملاً معهُ عبقَ التاريخِ وثقافةَ الأجدادِ. تأسّسَتْ من خلاله شخصيةُ الأميرِ عبدِ القادرِ على أسسٍ تراثيةٍ راسخةٍ، كأنّها شجرةٌ ضاربةٌ بجذورِها في أعماقِ التّاريخِ، تُزهرُ إبداعًا وفكرًا.

[1]– ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق،ص16.

[2]- الحاج جغدم، تجليات الأنساق الثقافية في شعر الأمير عبد القادر الجزائر، المرجع السابق، ص91.

«2- تضخيم الذات وإلغاء الآخر :

إن المتمعن في شعر الأمير، يجده يستميز بخاصية "تضخيم الذات وإلغاء الآخر"، وهي ميزة تُدرج ضمن ما يعرف بـ "نسق الاستفحال" التي ظلت تتسم بها شعرية الفخر لدى الشعراء العرب القدامى حيث "مذهب تفخيم الذات وتنزيهها ووسمها بصفات الكمال والقوة والغلبة والاستبداد، إذ أن معادلة الخطاب الفخري في الشعر العربي تعتمد في طرف منها على تشييد صورة مثالية للذات متكاملة الأبعاد المحققة للمجادة، وتعتمد في طرفها الآخر على هدم مكانة الخصم وتقزيمه وتحقيره والاستهانة بشأنه. [1]»

يقول:[2]

أَلَمْ تَرَى فِي خَنْقِ النَّطَاحِ نِطَاحَنَا غَدَاةَ التَقَيْنَاكُمْ شُجَاعًا لَهَا لَوَى

وَكَمْ هَامَةٍ، ذَاكَ النَّهَارُ، قَدَّدْتُهَا بِحَدِّ حَسَامِي، وَالْقَنَا طَعْنُهُ شَوَى

شَدَدْتُ عَلَيْهِمْ شِدَّةً هَاشِمِيَّةً وَقَدْ وَرَدُوا وَرْدَ الْمَنَايَا عَلَى الْغَوَى

يُشيرُ بروزُ نسق الفحولةِ في هذهِ الأبياتِ إلى شعور الشّاعرِ بالفخرِ بنفسهِ، ويجعله نموذجًا يُقتدى بهِ. مُكرِّسًا المحاسن لذاتهِ لِوصفِ إنجازاتهِ الشخصيةِ وقوّتهِ، ممّا يُعزّزُ شعورَهُ بالتفوّقِ على الآخرين.

ففي صراعٍ داخليٍّ مُضنٍ، تُصارعُ الذاتُ رغبتينِ متناقضتين: التخفّي بين ثنايا الجماعةِ، أو الظهورِ جليّةً وسطَ عواطفَ حماسيةٍ تُلهبُ المشاعرَ. فبينما تُفضّلُ الذاتُ أحياناً البقاءَ مُخبّأةً ... تُحاولُ في أحيانٍ أخرى التعبيرَ عن نفسها بكلّ جرأةٍ، راغبةً في التأثيرِ على محيطِها وتركِ بصمةٍ لا تُمحى.

[1]- الحاج جغدم، تجليات الأنساق الثقافية في شعر الأمير عبد القادر الجزائر، المرجع السابق، صص92/91.

[2]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص32.

« حيث اعتداد الذّات الشّاعرة بذاتيتها، مقابل تحقير الآخر واعتباره دائماً بمثابة خصم لابد من سحقه" "فالسّياق الفخري هنا شخصي – جمعي في الآن نفسه، والنعوت الإعلانية فردية شمولية كذلك، والغاية هي إجلاء صورة الفرد الرمز المحمي بقوته .... الأمر الذي يبين أن الغاية من الفخر كانت توطيد المكانة تحقيقاً للمقاصد الشخصية والجماعية[1]»

ففي النّهاية، شعورُ الفخرِ هو شعورٌ إنسانيٌّ فطريٌّ يُؤَكّدُ على قوّةِ الإنسانِ وعزّتِهِ. ولكنْ، لا يُمكنُ لهذا الشعورِ أنْ يُحقّقَ غايتَهُ دونَ شعورٍ بالانتماءِ إلى جماعةٍ قويةٍ ومتماسكةٍ. ففي ظلّ التعاونِ والتكافلِ، يُصبحُ شعورُ الفخرِ شعلةً تُنيرُ دروبَ الحياةِ وتُؤَكّدُ على قوّةِ الإنسانِ وعزّتِهِ.

« 3– الإشادة بالبادية والاعتداد بالخيل

إنّ المتأمل في شعر الأمير عبد القادر، يقف عند عديد التقاطعات الخطابية، فسياقاته تحاور الجملة النسقية العربية، إذ تتجلى قيم وصور وتقاليد الجاهلية، فتأثره بالشعر العربي القديم جلي وملموس في الجملة، بل إنه سيرى التناص يتجلى مع قيم وصور وتقاليد خطابية جاهلية لاسيما ما تعلق منها بقيم الفروسية والنخوة والوصف والإشادة بجمال المرأة وبالبادية وفضائلها[2]»

يقول[3]:

لَو كُنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي الْبَدْوِ تَعْذِرُنِي لَكِنْ جَهِلْتَ وَكَمْ فِي الْجَهْلِ مِنْ ضَرَرِ

يُؤَكّدُ الشّاعرُ على أنّ جهلَ المخاطبِ بحياةِ البدوِ هو السببُ في لومهِ له، فلو كان يعلمُ ما في

[1]–الحاج جغدم، تجليات الأنساق الثقافية في شعر الأمير عبد القادر الجزائر، المرجع السابق، ص92.

[2]– المرجع نفسه، صص92/93.

[3]– ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص22.

حياةِ البدوِ من قيمٍ ومبادئَ جميلةٍ، لَما لآمه على ميله إلى هذهِ الحياةِ، مشيرًا إلى أنّ الجهلَ يُؤدّي إلى الكثيرِ من الأضرارِ، منها الظلمُ والتهميشُ.

ويقول[1]:

إِذَا مَا اشتَكَتْ خَيْلِيْ الجِرَاحَ تَحَمْحُماً أَقُولُ لَهَا: صَبْراً كَصَبْرِي وَإِجْمَالِي

يحاولُ الشاعرُ في هذا البيتِ مواساةَ خيلِهِ المثخنةِ بالجراحِ، والتخفيفَ منْ آلامِها بِبَلْسَمِ الصبرِ وعِباراتِ التحمّلِ!

« نستنتج مما سبق، أنّ الأنساق الثقافية في شعر الأمير، تتمظهر في :

1- إن المتأمل في شعر الأمير، يجده يستند إلى رصيد ثقافي ضارب في أعماق الحضارة الإسلامية، تقوم فيه "الأنا" مقاماً محورياً ومركزياً.

2- إن المكونات المركزية لعناصر النسق لدى الأمير نجدها ماثلة في:

- الافتخار بالخصال والنسب الشريف.

- تضخيم الذات وإلغاء الآخر.

- الإشادة بالبادية والمرأة والاعتداد بالخيل.

3- إنّ الشاعر يستمد شعريته من الخصائص الأدبية التراثية كما جسدتها تجارب الفحول من أمثال طرفة والنابغة والمتنبي والبحتري[2].»

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص21.

[2]- الحاج جغدم، تجليات الأنساق الثقافية في شعر الأمير عبد القادر الجزائر، المرجع السابق، ص93.

النّسق الاجتماعي

يُعدّ شعرُ الأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريّ ذاكرةً حيّةً تُخلّدُ صفحاتَ التّاريخِ الجزائريّ في القرنِ التّاسع عشر، وتُجسّدُ قيمَ المجتمعِ العربيّ والإسلاميّ في تلكَ الحقبةِ. فما بينَ سطورِ قصائدهِ تَتجلّى حكايةُ شعبٍ واجهَ التحدّياتِ بِصبرٍ وعزيمةٍ، وتشبّثَ بقيمِهِ الأصيلةِ، مُقاومًا كلّ محاولاتِ الطّمسِ والتّغييب.

تشّكل العادات والتّقاليد جزءًا لا يتجزّأ من الثّقافة العربية، وتُثير بعض هذه العادات نقاشات ثقافية واسعة النّطاق. ومن بين هذه العادات، "تشريط الخدود" خلال تواجد الشّاعر في مدينة الطائف، نشأ نقاش حول عادة "تشريط الخدود". وقد عبّر الأمير عن استهجانه لهذه العادة، بينما قام أحد الشّعراء بإلقاء أبيات شعرية من تأليفه تُعبّر عن آرائه حول "تشريط الخدود."

وهكذا، اتّخذ النّقاش حول "تشريط الخدود" شكلا أدبيا، تنوّع بين التّأييد والرّفض، عبّر عن رأي كلّ واحد منم ومشاعره حول هذا الموضوع.

يقول الأمير[1]:

أَقولُ لِقومٍ لا تُفِيدُ نَصِيحتِي لَدَيْهِمْ وَلَوْ أَبْدَيْتُ كُلَّ الأدلةِ

أَلاَ فَاتْرُكوا وردَ الخدودِ وَشَأْنَهُ فَتَخْديدُكُمْ في الخدِّ أَقْبَحُ فِعْلَةِ

أَيَعْمَدُ ذُو لُبٍّ لِخدٍّ مُوَرّدٍ وَيَقْسِمُهُ عَمْدًا إلى شَرِّ قِسْمةِ

يُلاحظُ في نسق هذا الخطابِ اتّباع الشاعرِ لأسلوبٍ إرشاديٍّ مباشرٍ، مُوجّهًا إلى قومٍ لا تُجدي معهمْ النّصيحةُ ممّا يُضفي على النصّ شعورًا باليأسِ والإحباط. ويُؤكّدُ الشّاعرُ على عدمِ وجودِ أيّ أملٍ في إقناعِهم، حتّى لوْ أَبْدَى كُلَّ الأدلةِ على قُبحِ تشريطِ الخدودِ.

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص84.

وعليه، نجد أنّ الشّاعر يتّبعُ مسارًا مُحدّدًا في نسق خطابهِ، مُتّكئًا على ذاكرةٍ اجتماعيةٍ راسخةٍ.

كما يلاحظ توظيف الشّاعرِ لِأساليبَ بلاغيةٍ مُتنوّعةٍ، تُضفي على النصّ عمقًا ودلالةً .فاستخدامُهُ لأسلوبِ الأمرِ في قولهِ "**أَلاَ فَاتْرُكوا وردَ الخدودِ وَشَأْنَهُ**" يُعبّرُ عن رغبةِ الشّاعرِ في تغييرِ سلوكِ النّاسِ، ورفضِهِ لِعادةِ تشريطِ الخدودِ.

كما أنّهُ اعتمد أسلوبَ النّفيِ في قولهِ "**لا تُفِيدُ نَصِيحتِي**" للتّعبيرِ عن شعورِهِ بالإحباطِ من عدمِ استجابةِ النّاسِ لنصائحِهِ، ممّا يُضفي على النصّ شعورًا بالأسى.

ويُؤكّدُ الشّاعرُ على قُبحِ هذهِ العادةِ من خلالِ استخدامِهِ لأسلوبِ الاستفهامِ في قولهِ "**أَيَعْمَدُ ذُو لُبٍّ لِخدٍّ مُورّدٍ**"، ممّا يُثيرُ التّساؤلَ...حولَ عقلِ من يُمارسُ هذهِ العادةَ.

كما يُؤكّدُ الشّاعرُ على عدمِ وجودِ أيّ أملٍ في إقناعِ النّاسِ بالتّخلّي عن هذهِ العادةِ، حتّى لوْ أَبْدَى كُلَّ الأدلةِ، من خلالِ استخدامِهِ لأسلوبِ التّوكيدِ في قولهِ "**وَلَوْ أَبْدَيْتُ كُلَّ الأدلةِ.**"

تجلّى استنكار الشّاعر لهذهِ العادةِ جليًّا، حيثُ عدّها مُنحرفَةً عن معاييرِ الجمالِ، وفعلاً غير محمودٍ، مُقلّلًا من شأنها وقيمتها. لا سيّما وأنّها تُخالفُ الفطرةَ السليمةَ وتُشوّهُ خلقَ اللهِ، ولم يكن ذلك إلاّ رغبةً منهُ في الحدّ من انتشارِ هذهِ العادةِ ونبذِ انتهاجِها الفعليِّ.

وقد استخدم الشّاعرُ أسلوبًا قويًا للتعبيرِ عن شعورِهِ، ليُؤكّدُ على خطورةِ ما يُريدُ إيصالَهُ. ويُشيرُ أسلوبُ الشّاعرِ إلى رغبتِهِ في تغييرِ سلوكِ الناسِ، ممّا يُضفي على النصّ أبعادًا ثقافيةً واجتماعيةً.

وفي إطارِ تأكيدِهِ على أهميةِ القيمِ والأخلاقياتِ الاجتماعيةِ الإيجابيةِ، وتشجيعِهِ على النّظافةِ والعنايةِ الشخصية بالنفسِ والتفاؤلِ.

يقول[1]:

تَبَخَّر بِعُودِ الطِّيبِ لاَزِلتَ طَيبًا وَرُشَّ بِمَاءِ الزَّهْرِ يَا خِلُّ وَالوَرْدِ

وَمَا بُغْيَتِي هَذَا لَكِنْ تَفَاؤُلاً بِعُودٍ إِلَىَ عُودِ وَوَرْدٍ إِلَى وَرْدِ

اشتغل الشَّاعر هنا في خطابه على قيمة أساسية، ألا وهي (التطيّب)، كرمز للرقي والجاذبية والتميز لكونه معيارا جماليا يترفّع الانسان من خلاله على الروائح المؤذية، ويحفّز الحواس، وإثارة المشاعر، وخلق شعورٍ بالراحة والاسترخاء.

فقد وظّف الشاعر رمزية العطر في هذين البيتين للتعبير عن أفكاره ومشاعره تجاه صديقه. فمن خلال استخدامه لأسلوبِ الأمرِ في عباراتِ "**تَبَخَّر**" و "**رُشَّ**"، يُعبّر الشّاعر عن رغبته في أن يُحافظ صديقه على طيبته وجماله.

كما يُشيرُ استخدامُه لِكلماتِ "**عُودُ الطِّيبِ**" و "**مَاءُ الزَّهْرِ وَالوَرْدِ**" إلى أنّ (عُودُ الطِّيبِ يرمزُ للرائحةِ العطرةِ والجمالِ) و(مَاءُ الزَّهْرِ وَالوَرْدِ يرمزُ للجمالِ والنقاءِ).

فمن خلال هذه الرموز والأفعال والأوامر، يُقدّم لنا الشّاعر نصيحةً اجتماعيةً مهمةً، وهي أنّه من المهم أن يُحافظَ النّاس على طيبتهم وجمالهم، وأنّهم يجب أن يُشاركوا طيبهم مع الآخرين.

ويُساعد تحليل هذين البيتين في الوصول إلى فهمٍ أعمق لِلسياقِ الاجتماعيّ لهما ورسالة الشّاعر فيهما، ممّا يُتيح لنا فهمًا أفضل لِقِيَمِ المجتمعِ الذي عاش فيه الشّاعرِ، ولِفَكْرِهِ الخاصّ، ولِرُؤْيَتِهِ للحياة.

يقول فيهما[2]:

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص125.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

وَإِنْ أَسَاءَ عَلَيْنَا الجَارُ عِشْرَتَهُ نُبَاعِدُ عَنْهُ بِلَا ضُرٍّ وَلَا ضَرَرِ

.نُبِيْتُ نَارَ القِرَى تَبْدُو لِطَارِقِنا فِيْهَا المُدَاوَاةُ مِنْ جُوْعٍ وَمِنْ خَصَرِ

يبرز الشّاعر في هذين البيتين ثبات الذّات في معالجة الأمور، مُؤكدًا على أنّ هذا الثّبات ينبثق من إيمانٍ راسخٍ لا يُورّثها الخوف، بل يُعدّ خروجًا سليمًا عن حدود المهانة والابتذال المخلّ. فليس تنازل الذّات عن حقها دلالةً على الضعف، بل هو ثبات فعلي على أخلاقيات الصفح والتّسامح.

فعدم الرد على الظّلم بالظّلم يُعبّر عن شعورٍ بالمسؤولية تجاه المجتمع، ورغبةٍ في حلّ النّزاعات بشكلٍ سلمي، فهذا يُفقد الظّالم مبرراته ويُقلّل من حدّة النّزاع.

كما يُؤكّد الشّاعر في هذين البيتين على قيمة الجود، ويجعله من المعاني الأخلاقية الرّفيعة. فهو يُدرك تمامًا أهمّية الجود في توطيد علاقات المحبّة والودّ بين أفراد المجتمع لأنّ الكرم والإنفاق هما من الصّفات المتأصّلة في ذهنية الإنسان العربي منذ العصر الجاهلي. فقد تغنّى الشّعراء بالكرم وافتخروا به، وكان يُعدّ سلوكًا نسقيًا مُتّبعًا في المجتمع.

بين أزقّة دمشق، حيث عبق التّاريخ يملأ الأرجاء، سطّر الشّيخ "يوسف بدر الدين المغربي" حكايةً تُخلّد في ذاكرة الزّمن. نزح من بلده حاملاً معه عبئ العلم والمعرفة، ليجد في دار الحديث النووية مأوىً لروحه ومهوىً لفكره.

لكنّ الأقدار شاءت أن تُواجههُ بمحنةٍ قاسية، حيث ادّعى رجلٌ رومي ملكية الدّار ووضع يده عليها، مُحوّلاً قِسْمًا منها إلى خَمَّارةٍ تُعجّ بالفساد. ثار الشّيخ يوسف على هذا الظّلم، فاتّخذ من جهاده سلاحًا لاستعادة الدّار إلى حظيرة الوقف.

طرق أبواب دار الأوقاف، وسعى جاهداً مع الجهات الحكومية، حتّى نال مرسوما سلطانيًا يُؤكّد ملكية الوقف للدّار. لكن حكّام دمشق، غارقين في وحلّ الرشوة، عطّلوا المرسوم، تاركين الشّيخ يوسف فريسةً لليأس.

لم يستسلم الشّيخ، بل لجأ إلى الأمير عبد القادر، رمز العدل والكرم، فكان له ما أراد .اشترى الأمير الدّار ووقفها من جديد، مُعيدًا إليها رونقها ووظيفتها النّبيلة.

في عيون الشّيخ يوسف، انعكس نور الشّكر والتّقدير، فقدّم قصيدةً للأمير يمُدح فيها صنيعه النّبيل.

تفاعل الأمير مع قصيدة الشّيخ يوسف بكتابة قصيدة أخرى، عبّرَ في مطلعها عنْ إعجابهِ بجمالِها وتركيبها المتقَنِ ومعانيها العميقةِ، ممّا يدلّ على أنّ قصيدة الشّيخ أثّرتْ فيهِ بشكلٍ إيجابيّ.

ومن جملةِ ما قالهُ فيها[1]:

وَلْتَعْطِنَا مِنْ زَكَاةِ الْعِلْمِ وَاجِبَةً أَنْتَ الْمُشَيِّدُ دَارَ الْعِلْمِ بَانِيَهَا

أَبْقَاكَ رَبُّ الْعُلَى فِي نَشْرِ حِكْمَتِهَا رَغْمًا لِأَنْفِ مُعَادِيْهَا وَشَانِيَهَا

في سياقِ هذا الخطابِ المدحيّ، تتبوّأُ الذاتُ المادحةُ موقعًا محوريًا مُقابلًا للممدوحِ، مُؤدّيةً دورًا فعّالًا في إبرازِ محاسنِه، والرّفع من قدره، وتعزيز مكانته. وعلى هذا النّحو، تُصبحُ الذّاتُ المادحةُ

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص77.

مشاركةً بفاعليةٍ في بناءِ صورةِ الممدوحِ، ورغبتِها في المساهمةِ في تحسينِ المجتمعِ من خلالِ مديحِها لشخصٍ يُجسّدُ القيمَ التي تُريدُ نشرَها.

تُشكّلُ العلاقةُ بينَ الذاتِ المادحةِ والذاتِ الممدوحةِ تفاعلاً إبداعيًا يُثري الخطابَ المدحيّ ويُضفي عليهِ أبعادًا جديدةً. فالذّاتُ المادحةُ تملك سلطةً معنويةً (سلطة اللّغة والبيان) تُضفي على خطابِها مصداقيةً وتأثيرًا، بينما تملكُ الذّاتُ الممدوحةُ سلطةً معرفيةً (سلطة العلم) تُضفي على خطابِها عمقًا ووزنًا.

فما إسقاط الشّاعر من الصّفات الجميلة على الممدوح ليس إلاّ محاولةً منه للارتقاء نحو الآخر، والتّعبير عن تقديره واحترامه له.

. فإشادة الشّاعر بالذّات العالمة، هو: تمجيد العلم، الذي يُعدّ حجر الزّاوية في بناء جيلٍ واعٍ يُساهم في تكوين الفرد تكوينًا تربويًا وأخلاقيًا وفكريًا مُتكاملًا، يجعله مُتمسّكًا بمبادئه العليا، حافظًا لقيمه وهويته ودينه.

النسق السياسي

يُعدّ شعر الأمير عبد القادر في القرن التّاسع عشر نموذجًا لفهم الأنساق السّياسية والثّقافية السّائدة في عصره.

فمن خلال تحليل خطاب المديحِ في شعره، يُمْكِنُنَا الكشفُ عن القيمِ والأفكارِ التي سعى الأميرُ إلى ترسيخِها في المجتمعِ، بالمساهمةِ في إحداثِ التغييرِ المنشودِ من خلالِ تعبئةِ المشاعرِ الجماعيةِ وتوجيهِها نحوَ الأهدافِ المرجوة كونها تتأثرُ بِنداءاتِ الوجدانِ قبل نداءاتِ العقلِ.

بعد خمسة عشر عامًا من عيش مرارة الأسر، نال الأمير عبد القادر حريته، مُتحررًا من قبضة فرنسا التي هزّ عرشها في الجزائر.

فَكانَ كَطائِرِ فينيقٍ نَهضَ من رماد الأَسرِ، يرفرف بجناحيه الحرّية... مُعلنًا عن ميلاد جديد.

وقد اختار الأمير مدينة بروسه في الأناضول مأوىً له، تحت جناح الخلافة الإسلامية. ووصل إلى قصر السّلطان عبد المجيد، حاملًا معه قصيدة تُعبّر عن مشاعره الجيّاشة.

في هذه القصيدة، يصف الأمير شعوره بالتّحرّر من قيود الأسر، وكأنّه قد عاد إلى الحياة بعد موت ليُعبّر عن عظيم شكره للسّلطان عبد المجيد على رعايته.

وممّا قاله فيها[1]:

وعِشْ هَنِيئًا فَأَنْتَ اليَوْمَ آمِنٌ مِنْ حَمَامِ مَكّةَ إِحْرَامًا وَإِحْلاَلاَ

فَأَنْتَ تَحْتَ لِوَاءِ المَجْدِ مُغْتَبِطٌ في حَضْرَةٍ جَمَعَتْ قُطْبًا وَأَبْدَالاَ

وقال أيضا[2]:

أَبْشِرْ بِقُرْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ إِكْمَالاَ

عَبْدُ الْمَجِيدِ حَوَى مَجْدًا وَعِزًّا عَلَى وَجَلَّ قَدْرًا كَمَا قَدْ عَمَّ أَنْوَالاَ

كَهْفُ الْخِلَافَةِ كَافِيهَا وَكَافِلُهَا وَمَا عَهِدْنَا لَهُ فِي الْقَرْنِ أَمْثَالاَ

كشف النّقاب عن المضمر النّسقي في هذا النصّ يكمن في الحضور القوي للسّلطة والخلافة. بتأييد الشّاعرِ للنظامِ السّياسيّ الجديدِ بقيادةِ الأميرِ عبدِ المجيدِ، ما يدلّ على إيمانِهِ بقدرتِهِ على تحقيقِ العدالةِ والازدهارِ للدّولةِ.

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص106.

[2]-المرجع نفسه،106.

فأوّل ما يلفت الانتباه هو تركيز النصّ على الصّفات والمناقب التي تملأ فضاءه، والتي حرص الشّاعر على إبرازها من خلال استخدام الألفاظ ذات الدّلالات القوية :مثل "**الأمن**" و "**المجد**" و "**العزّ**" و"**الكرم**" التي تمجّد الشّخصيّة.

ظاهر النصّ يظهر نسقًا خطابيًا تقليديًا يُمجّد الخليفة ويُبرز صفاته الحميدة. لكن استخدام الشّاعر مجموعة من القيم والمبالغات الشّعرية كقوله: (**قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ إِكْمَالاَ**) وقوله: (**وَمَا عَهِدْنَا لَهُ فِي الْقَرْنِ أَمْثَالاَ**) يظهر لنا نسق الفحولة الذي يشير به الشّاعر إلى ذات الخليفة بتصويره كرمزٍ مثاليٍّ للسلطة والحكم، خالية من العيوب، لا مكان فيها للآخر.

وفي خضمّ صراعاتِ الحياةِ ونوائبِها، تبحثُ الجماعةُ عنْ رمزٍ للأملِ والتّغييرِ، رمزٍ يُمثّلُ القوةَ والعدلَ والحكمةَ، رمزٍ يُلهمُها، ويُدافعُ عنْ حقوقِها. وهذهِ الرغبةُ نابعةٌ منْ شعورِهمْ بِالضّعفِ والحاجةِ إلى الحمايةِ.

يقول الأمير[1]:

فَالمُسْلِمُونَ بِأَرْضِ الْغَرْبِ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَهُ يَرْجُونَ إِقْبَالاَ

كَمْ سَاهِرٍ يَرْتَجِي نَوْمًا بِطَلْعَتِهِ وَحَائِرٌ يَرْتَجِي لِلْحُزْنِ تِسْهَالاَ

فَرْعُ الْخَلاَئِفِ وَابْنُ الْأَكْرَمِينَ وَمَن ْ شَدَّوْا عُرَى الدِّينِ أَرْكَانًا وَأَطْلَالاَ

كَمْ أَزْمَةٍ فَرَّجُوا كَمْ غُمَّةٍ كَشَفُوا كَمْ فَكَّكُوا عَنْ رِقَابِ الْخَلْقِ أَغْلاَلاَ

هُمْ رَحْمَةٌ لِبَنِي الإِيمَانِ قَاطِبَةً هُمُ الْوِقَايَةُ أَسْوَاءَ وَأَهْوَالاَ

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص107.

يُقدّم النصّ تحليلًا عميقًا لِخصائصِ الخليفةِ وإبراز الكفاءة السّياسيةِ التي تُؤهّلُهُ لِإنقاذِ الأمّةِ من الأزماتِ التي تُواجهُها. حيثُ يُعبّرُ الشّاعر عنْ مشاعرِ الفخرِ والاعتزازِ بقائدٍ عظيمٍ استوفى جميعَ شروطِ الكتابةِ المدحيةِ فيهِ.

ينكشف النّسق المضمر في محاولة استثارةِ العواطف، وبناءِ صورةٍ قياديةٍ مثاليةٍ، وخلقِ التوقّعِ والأمل، والتّأكيد على الدّور المنشود للخليفة في إنقاذ الأمة الإسلامية.

ففي سعيه لبناء صورة قويةٍ للخليفةِ المخلّصِ يقول: "**فرع الخلائفِ**"، وهو تشبيهٌ للخليفة بغصنٍ من شجرة الخلافة العريقة، يوحي بعلو مكانته وشرعيّته.

وقد كرر كلمة "كم" الخبرية: "**كم ساهر**"، "**كم أزمة**"، "**كم غمّة**"، "**كم فكّكوا**" للإخبار عن حجم المعاناة التي تكبدتها الأمة الإسلامية، ما يُؤججُ الشعور بالرغبة في الخلاص.

واستخدم ضمير الجمع "**المسلمون**"، "**بني الإيمان**": ليُوحدُ بين المسلمين في مختلف بقاع الأرض، ويُبرزُ معاناتهم المشتركة.

كما وظف أفعال التّرقب والأمل: "**يرجون إقبالا**"، "**يرتجي نوما**"، "**يرتجي تسهالا**": تُظهرُ هذه الأفعال مدى التّوق الذي يحمله المسلمون لوصول الخليفة.

وفي عام 1853، حاربت روسيا الدّولة العثمانية في شبه جزيرة القرم، فتدخلت الدّول الغربية لدعم الرّوس وهدفهم تقسيم الدّولة العثمانية. ودعم المسلمون الدّولة بالدّعاء وقراءة القرآن الكريم، بينما نظم الأمير الشّاعر قصيدة عنوانها "**توسّلات ودعاء**" داعياً الله لنصر الدّولة العثمانية على أعدائها.

يقول في أبيات منها[1] :

يارَبُ! أَيِّدْ، بِرُوحِ القُدُسِ، مَلْجَأَنا عَبْدَ المَجيدِ .وَلا تَبْقِهِ حَيْرانَا

إِبْنُ الخَلائِفِ، وَابْنُ الأَكْرَمِينَ، وَمَنْ تَوَارَثُوا المُلْكَ، سُلْطانًا فَسُلْطانَا

تَموقُع الشَّاعِرِ هنا داخل الخطاب، نزع الكُلفة عنه كي يُعبّرَ عنْ أفكارهِ بِطريقةٍ واضحةٍ باستخدام ضمير الجمع "**نا**"المتصل.

فمن خلال مسائلة جماليات النصّ، ينكشف لنا المضمر النّسقي الذي ساهمت في تمريره جملة: "**مَلْجَأَنا عَبْدَ المَجيدِ** "، في إيماء للنّسق الفحولي وتجلي المركزية في السلطان عبد المجيد، من خلال التركيز على نسبه وأهميته وطلب العون الإلهي له.

وقال أيضا[2]:

هُمُ الجِبَالُ ثَبَاتًا، يَوْمَ حَرْبِهِمُ فَصَابِرٌ، مَنْ عَدَاهُمْ، صَبْرُهُ خَانَا

هُمُ اللُّيُوثُ، لُيُوثُ الغَابِ، غَاضِبَةٌ وَاللَّيْثُ، لا يُلْتَقَى، إِنْ كَانَ غَضْبَانَا

هُمُ الأَلَى، دَأْبُهُمْ شَقُّ الصُّفُوفِ لَدَى حَمَلاتِهِمْ، صَارَ جَيْشُ الكُفْرِ، دَهْشَانَا

الدَّافِعُونَ عَنْ الإِسْلامِ كُلَّ أَذًى بِأَنْفُسٍ قَدْ غَلَتْ: قَدْرًا وَأَثْمَانَا

كَمْ غَمَّةٍ كَشَفُوا؟! كَمْ كُرْبَةً رَفَعُوا؟! وَكَمْ أَزَاحُوا، عَنْ الإِسْلامِ، عَدْوَانَا؟!

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص109.

[2]-المرجع نفسه، ص111.

تتّسمُ هذهِ الأبياتُ بثباتٍ في المركزيةِ النّسقية؛ تُجسّدُها إشارةُ الشّاعرِ إلى مرجعية النّسب للسّلطان عبد الحميد واعتبارهم رمز الوحدةِ والهويةِ الإسلاميةِ بإظهار شجاعةِ مجاهديهم وقوّةِ إيمانهمْ وثباتهم كالجبال، وإقصاء "الآخر" الذي لا يُمثلُ الإسلام، وتهميشِ كل الأصواتِ المخالفةِ واستبعادِها. مؤكّدًا أنّ منْ يُحاربُهمْ لا محالةَ سينهزمُ ويخونهُ صبرُهُ.

ويمكن استبيان دلالة نسقية من قول الشّاعر: **"هُمُ اللُّيُوثُ... وَاللَّيْثُ، لا يُلْتَقَى، إِنْ كَانَ غَضْبَانَا"**

أنّها نسق فحولي يحاول تقديمَ صورة دعائية مُمجّدة للأبطال، تُؤكّدُ على قوتهم وشجاعتهم، وتُضفي عليهم صفةَ القداسةِ، وتُخلقُ حولهم شعورًا بالخوفِ والرّهبةِ.

في هذه الأبياتِ، يُظهرُ الشاعرُ عظمةَ السلطانِ عبدِ المجيدِ ونسبِهِ العريقِ، وترسيخ صفاتهم الكاملة ونماذجهم المثالية، مُؤكّدًا على تأثيرِهمْ القويّ وفعاليتِهمْ في المجتمعِ. مدافعا عن انتمائهِ الجماعيّ والايمان بمبادئِهِ المرسومةِ في ذاكرتِهِ.

وإيمانًا منهُ بِعظمةِ الإسلامِ، يُؤكّدُ الشّاعرُ على أنّ الدّفاعَ عنه هوَ واجبٌ دينيٌّ ووطني، حيثُ إنَّ الإسلامَ هوَ دينُ الدّولةِ الرسميّ، وأنَّ الدّفاعَ عنه هوَ جزءٌ لا يتجزّأُ منَ الدّفاعِ عنِ السّيادةِ، وهوَ مسؤوليةٌ جماعيةٌ للحفاظِ على هويةِ الأمّةِ وعزّتِها.

كان والي بروسه،" خليل باشا" (وهو صهر السّلطان عبد المجيد)، يملأُ قلبَ الأميرِ بالبهجةِ والودّ. جمعتهما صداقةٌ حميمة لكنْ سرعان ما تحوّلت هذهِ الصداقةُ إلى غربة قاتمة، تاركةً فيْ نفسِ الأميرِ جرحًا عميقًا لا يمحوه الزمن. فقد تحوّل "خليل باشا" عن ولاية "بروسة"، تاركًا الأمير وحيدًا، كشجرة خضراء فقدت أوراقها في خريف قاسٍ.

فنَاجَى الأميرُ الوالي بِقصيدة" **بمن أعتاض عنك"**، من جملة ما قاله فيها[1]:

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص114.

لَقَدْ كَانَتْ تُفَاخَرُ كُلَّ مِصْرٍ وَتَطْلُعُ مِنْ شَمَائِلِكُمْ، شُمُوسَا

فَعَادَتْ بَعْدَكُمْ، شَمْطَا عَجُوزًا وَكَانَتْ، تَجْتَلِي بِكُمُ، عَرُوسَا

وَعَهْدِي؛ سُوحُهَا، بِالْوَفْدِ مَلْأَى فَأَضْحَتْ بَعْدَكُمْ؛ خَلْوًا دَرُوسَا

يُقدم لنا الشاعر في هذه الأبيات صورة غنية بالمعاني والرمزية عن "خليل باشا" والي بروسة من خلال وصفه بصفات تُعلي من شأنه وتُظهر مكانته العظيمة.

ففي هذه الأبيات يشير الشّاعر إلى عظمة بروسة في عهد الوالي من خلال استخدامه لِمُفردة "**تُفاخرُ**" وتأكيده على كرم الوالي وعطائه من خلال قوله: "**وَتَطْلُعُ مِنْ شَمَائِلِكُمْ، شُمُوسَا**" (**فَشُمُوسَا**) هنا تُشير إلى كثرة الخير والعطاء.

هذه الأبيات ترسم صورة مدينة "بروسة" بعد رحيل واليها "خليل باشا" بِمشاعر الحزن والأسى، وكأنّ الحياة قد فقدت بريقها وجمالها. ففي عهد وجوده، كانت(بروسة) بمثابة عروس جميلة، تُزهر وتُنير بجمالها. بينما بعد رحيله، تحوّلت إلى عجوز شمطاء، قاتمة وحزينة.

يُعبّر هذا التّشبيه عن مدى التّغير الذي طرأ على الحياة في مدينة "بروسة" بعد رحيل ""خليل باشا" فلم يعد هناك أيّ بهجة أو سرور، بل حلّ محلهما شعور بالفراغ والوحدة.

ويقول[1]:

وَكُنْتَ لَنَا بِهَا غَيْثًا مَرِيعًا وَكَهْفًا مَانِعًا، ضَرًّا وَبُوسَى

وَكَانَ لَنَا الزَّمَانُ بِكُمْ، ضَحُوكًا فَصَارَ لَنَا بِفَقْدِكُمُ؛ عَبُوسَا

بِمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ؟! فَدَتْكَ نَفْسِي وَكُنْتُ بِقُرْبِكُمْ، فَرِحًا أَنِيسَا

[1]- ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، المرجع السابق، ص114.

انتقى الشاعر في هذا النص أسماءً ذات دلالات رمزية عميقة تعكس مشاعره وأفكاره. فكلمة "**غيث**" تُشير إلى العطاء والخير الوفير، بينما تُوحي كلمة "**كهف**" بالأمان والحماية. أما كلمتا "**ضر**" و"**بؤس**" فتُعبّران عن المعاناة والأذى.

يُبرز النصّ حجم الخواء الذي خلفه الممدوح بعد رحيله، مُؤكّدًا على تأثيره العميق على مشاعر النّاس ونمط حياتهم. ويُظهر استخدام ضمير الجمع "**لنا**" مشاركة الجميع في مشاعر الحزن والأسى على تحوّله.

يُعبّر الاستفهام الإنكاري "**بمن أعتاض عنك؟!**" عن عدم وجود بديل للممدوح، مما يُضاعف من شعور الفقدان والفراغ. ويُؤكّد هذا الاستخدام على مكانة الممدوح الرفيعة ودوره المحوري في حياة النّاس.

هذه النصّ يُثير العديد من التّأملات حول العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" في سياق الإبداع، "فالأنا الشّاعرة" تُشكل علاقةً وثيقةً مع "الآخر " تُقارب الإيمان به، كونه عنصرًا أساسيًا يُشكّل هويتها ويُكمّل وجودها.

فمن خلال التّفاعل مع "الآخر" تنمو "الأنا" وتُثري ذاتها، محققةً بذلك تميّزها الفريد الذي ينبع من تجربتها الإبداعية.

الخاتمة

ختامًا، نضعُ بين أيديكم ثمرةَ جهدنا، ثمرةَ رحلةٍ معرفيةٍ غنيةٍ لا تنتهي عندَ هذا الحدّ، بل هي رحلةٌ مُستمرّةٌ تتجدّدُ مع كلّ قراءةٍ جديدةٍ وكلّ تأويلٍ مُبتكر.

فموضوعُ بحثِنا محاولة استكشافُ "النّسق الحضاري في شعر الأمير عبد القادر"، وهو كبحرٍ لا ساحلَ له، لا يمكنُ حصرُهُ في صفحاتٍ قليلةٍ، بلْ هو ينبضُ بالحياةِ مع كلّ قراءةٍ جديدةٍ، ومع كلّ باحثٍ جديدٍ.

ونأملُ أنْ تُلهمَ هذهِ الدراسةُ الباحثينَ الجُددَ على الاستمرارِ في استكشافِ هذهِ العوالِم، وأنْ تُساهمَ في إثراءِ المعرفةِ والفهمِ في هذا المجالِ.

ولذلكَ، فإنّنا نُدركُ أنّ ما توصلنا إليهِ من نتائجَ ما هو إلّا غيضٌ من فيضٍ، وأنّ هناكَ الكثيرَ من العوالِم المذهلةِ التي تدعو إلى المزيدِ من البحثِ والاكتشافِ.

وتأتي هذه النتائجُ لتُلقيَ الضوءَ على جوانبَ مُهمّةٍ من موضوعِ بحثِنا، وتُسهمَ في فهمِهِ بشكلٍ أفضلَ.

ونذكرُ من أهمّ هذه النتائجِ ما يلي:

- اختيار "الأمير عبد القادر" كان بإرادة شعبية واضحة وقاطعة، ليكون رئيسًا للدّولة وقائدًا للمقاومة. ولم يصل إلى سدّة الحكم عن طريق الوراثة، على عكس حكّام الدّول الإسلامية الأخرى في ذلك العصر، الذين كانوا يتوارثون السّلطة.

- لم يكن استسلام الأمير عبد القادر دليلاً على ضعفه أو تنازله عن المقاومة، بل كان حصيلة قرار صعب اتّخذه بعد تحليل عميق للموقف، مُقدّمًا مصلحة شعبه على أيّ شيء آخر، وذلك بهدف وقف إراقة الدماء، خاصةً بعد أن حاصرته القوّات الفرنسية من جهة، وتخلّى عنه الدّعم المغربي من جهة أخرى.

-واجهت شخصيةُ الأمير عبد القادر حملاتٍ مُتكرّرةٍ من التّشويهِ والتّشكيكِ، بدوافعَ سياسيةٍ ودينيةٍ وثقافيةٍ مُتباينةٍ.

- يُعدّ شعرُ الأمير عبد القادر وثيقةً تاريخيةً هامّةً تُعبّرُ عن أفكارهِ ومشاعرِه، وعن تنوعٍ موضوعيٍّ وثراءٍ حضاريٍّ، حيثُ يتناولُ موضوعاتٍ سياسيةٍ ودينيةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ، ويُجسّدُ قيمَ الحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ بكلّ تجلّياتِها.

- يُزخرُ شعرُ الأمير عبد القادر بالرمزيةِ الغنيةِ والدلالاتِ العميقةِ، مما يجعلهُ غنيًا بالتّأويلِ والدّراسةِ، ممّا يُتيحُ للباحثينَ والنقّادِ اكتشافَ معانٍ جديدةٍ في كلّ قراءةٍ.

- يُعد الشعر مرآة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع. وبالتّالي، فإنّ الشّعر غالبًا ما يتضمّن مواضيع تبرز ملامح النّسق الحضاري السّائد في عصره.

هذه أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في هذا البحث، ونحن نُدركُ تمامًا أنّ ما حقّقناه لا يرقى إلى مستوى عظمةَ شخصية الأمير عبد القادر، أحدِ أبرزِ روّادِ الثّقافة والأدب في تاريخ الجزائر الحافلِ بالإنجازات. ونُقرّ بأنّ قلةَ خبرتنا وصعوبةَ الإلمامِ بشعرهِ كانتا من أبرزِ العقبات التي واجهناها خلال رحلةِ البحثِ المضنية.

وعلى الرّغم من ذلك، فإنّنا نشعرُ بالفخرِ والسّعادةِ لِما بذلناه من جهدٍ دؤوبٍ في سبيلِ إنجازِ هذا البحثِ المتواضع، إيمانًا منّا بأهميةِ المساهمةِ في إثراءِ المعرفةِ بشعرِ الأميرِ عبد القادر وفهمهِ بشكلٍ أعمق. ونأملُ أن يُشكّلَ هذا الجهدُ المتواضع إضافةً قيّمةً لكلّ من يطالعُ صفحاته، وأن يُساهمَ في الإفادةِ منهِ وفهمهِ بشكلٍ أفضل.

مكتبة البحث

مكتبة البحث:

:القرآن الكريم : رواية ورش.

أ_ المصادر:

1-ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية التأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية،1960م.

2-ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، تح: العربي دحو، ط3، دار ثالة، الجزائر، 2007م.

ب_ المراجع

1-إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، مج:1، ط4،2004م.

2-ابن خلدون. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.

3-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السالم هارون، دار الفكر، ج5، بيروت- لبنان، 1377هـ/1797م.

4-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، فصل النون، ج:10، بيروت، لبنان،1414هـ.

5-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان،1422هـ/2001م.

6-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت ،1998م.

7-أحمد توفيق المدني، هذي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، 1956م.
8-أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط1، الكويت،2000م.
9-أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية،1422هـ/2000م.
10- الأمير أحمد بن محي الدّين الجزائري الحسني، سيرة عن الامير عبد القادر الجزائري الحسني، مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري الوطنية، الجزائر،2020م.
11- بركات محمد مراد، لأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، الصدر للطاعة والنشر، القاهرة،1992م
12- بسّام العسليّ، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830م-1838م)، ط3، دار النفائس، بيروت لبنان،1986م.
13- بسّام عسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط3، دار النفائس، بيروت،1986م.
14- بن أشنهو، الدولة الجزائرية في:1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تج: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013م.
15- جمعة برجوح وبلقاسم مالكية، النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13 ديسمبر،2017م.
16- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر،2008م.
17- الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، لبنان،2003م.
18- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم: أبو القاسم سعد الله، الدّار التونسية للنشر، تونس،1974م.
19- الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان،1427هـ/2006م.
20- عبد الرزّاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز

21- عبد الله الغذّامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية)، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، لبنان،2005م.
22- عبد الله شريط محمد ميلي، الجزائر في مرآة التّاريخ، مكتبة البعث، ط1، الجزائر، 1965م.
23- عبد الله محمد الأمين النعيم، الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية دراسة مقارنة، ط1، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة قطر،1434هه/2012م.
24- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر،2006م
25- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز والسيادة، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
26- عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، موسوعة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان،1399ه/1979م.
27- قدّور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الإمارة، تج: مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.
28- كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف ال قرن19، شخصيات، أماكن، أحداث معارك، ط1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2020م.
29- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، مج:1، ط1، دمشق، سورية،1424ه/2002م.
30- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، دمشق، سورية،1984م.
31- مبارك ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج3، بالجزائر، 1987.
32- محمد العربي السعودي، المؤسسات المركزية والمحلية في الجزائر الولاية-البلدية 1516-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، ط:2، الجزائر،2011 م.
33- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيرت، لبنان،1986م.

34- محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر-محاضرات، جامعة الدول العربية،1968م.
35- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان،1990م.
36- محمد علي محمد الصّلاّبي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى)، ج1، دار المعرفة، بيروت لبنان،2017.
37- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة، 2007.
38- ناصر الدّين سعيدوني والشيخ مهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
39- ناصر الدين سعيدوني، عصر الامير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،2000م.
40- نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر بدمشق، سوريا،1993م.

ج_ المجلاّت والدّوريات:

1-بودن غانم، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية: العدد 00، أفريل 2021م، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة، الجزائر.
2- بوزبوجة أحمد، إشكاليّة الهوية الجزائرية في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة متون (كليّة العلوم الاجتماعية والإنسانية-جامعة مولاي الطاهر سعيدة): العدد الرابع: ديسمبر2017م.
3- تركي رابح عمامرة، الأمير عبد القادر الجزائري (البيئة الثقافية والتربوية التي نشأ فيها وأثرها في تكوين شخصيته)، مجلة عالم الفكر: المجلد السادس عشر-العدد الأول-أبريل-مايو-يونيو1985م.

4-حسين جمعة، التجربة النضالية الوطنية للأمير عبد القادر، مجلة التراث العربي: العد د111-117-، دمشق،2010م.
5-حورية ومان، معالم وجود الدولة الجزائرية وهيبتها قبل الاستعمار الفرنسي 1518-1830، المجلّد8، العدد رقم01-جانفي 2020م.
6-درعي فاطمة، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي: مج2/12، ماي 2021م.
7-شفيق بوطرفة، صورة الأمير عبد القادر في كتابات الرحالة الفرنسيين والألمان، قراءة في نماذج، مجلة فصل الخطاب: مجلد 12، عدد رقم: 01 مارس 2023، جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر.
8-طاليبي علي، حريشة جمال، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفات خصومه من الفرنسيين -كتابات برنو ايتيين وجان لويس أزان أنموذجا، مجلة المعيار: مج: 14العدد 1 جوان 2023م، جامعة تيسمسيلت، الجزائر.
9-المشهداني مؤيد محمود حمد ورمضان سلوان رشيد، أوضاع الجزائر خلال الحكم ال عثماني1518-1830، مجلة الدّراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة): المجلد5، العدد16، نيسان 2013م

د- الرّسائل الجامعيّة:

1-بن ساسي سميرة وحمداوي فتيحة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وبريطانيا خلال القرن الثامن عشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون- تيارت-،2016-2017م.
2-الزهرة زواري فرحات، الأمير عبد القادر حياته ودعوته، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص: إعلام واتصال، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين)،2017م-2018م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
شكر	-
مقدمة	أ
تمهيد	1
الفصل الأول : الأمير عبد القادر رحلة حياة	1
أوضاع الجزائر قبل مولد الأمير عبد القادر	2
-قبيل الاستعمار	2
-بداية الاستعمار	6
-الأمير عبد القادر قائد أمّة	9
-نسبه	9
-مولده ونشأته	11
-بيئته الاجتماعية	15
-تعليمه	19
-شخصية الأمير القادر قائد أمة	
-مبايعته	26
-قيام دولته	29

-بداية النّهاية لدولته	33
-شبهات طالت شخصية الأمير من طرف الفرنسيين	34
-الأراء المؤيدة	35
-الأراء المعارضة	36
الفصل الثاني: النّسق الحضاري في شعر الأمير القادر الجزائري (دراسة تطبيقية)	38
-تعريف النّسق	39
-تعريف الحضارة	41
-تعريف الثّقافة	43
-علاقة الحضارة بالثّقافة	46
التّجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر (النّسق الحضاري)	47
النّسق الإنساني	49
النّسق الدّيني	54
النّسق الثّقافي	60
النّسق الاجتماعي	66
النّسق السياسي	71
الخاتمة	78

مكتبة البحث	82
الفهرس	88

الملخص:

تُقدم هذه الدّراسة مساراتٍ نقديةٍ جديدةً لفهم شعر الأمير عبد القادر، وذلك من خلال الاستفادة من مدونةٍ نقديةٍ غنيةٍ بتنوّع مصادرها ومنظوراتها، واعتماد منهج النقد الثقافي كمنهجٍ أساسيٍّ. وتُساهم هذه المسارات في تخطّي قيود التقيّد باتجاهٍ واحدٍ للقراءة، ممّا يفتح المجال أمام فهمٍ أكثر شمولاً لشعر الأمير عبد القادر، وإثراء الحقل النقدي من خلال تقديم وجهات نظرٍ جديدةٍ حول هذا الشعر.وتُساعد هذه الدراسة على فهم آليات اشتغال النسق وتأثيره على الذائقة الجمالية، ممّا يُساهم في فهمٍ أعمق لِشعر الأمير عبد القادر، ودوره في التعبير عن النسق الحضاري في عصره.وبشكلٍ عامٍ، تُعدّ هذه الدراسة مساهمةً قيّمةً في فهم شعر الأمير عبد القادر، وتُفتح المجال أمام المزيد من البحث والدراسة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية:

النسق–الحضارة–الثقافة–الأمير عبد القادر–الجزائري

Résumé :

Cette étude propose de nouvelles approches critiques pour comprendre la poésie de l'émir Abdelkader, en s'appuyant sur un corpus critique riche en diversité de sources et de perspectives, et en adoptant l'analyse culturelle comme méthodologie principale.
Ces approches permettent de dépasser les limites d'une lecture unilatérale, ouvrant ainsi la voie à une compréhension plus complète de la poésie de l'émir Abdelkader, et enrichissant le champ critique en offrant de nouvelles perspectives sur cette poésie.Cette étude aide à comprendre les mécanismes de fonctionnement du système et son impact sur le goût esthétique, ce qui contribue à une compréhension plus approfondie de la poésie de l'émir Abdelkader et de son rôle dans l'expression du système civilisationnel de son époque., cette étude est une contribution précieuse à la compréhension de la poésie de l'émir Abdelkader et ouvre la voie à de nouvelles recherches et études dans ce domaine.
Les mots clés:
Le motif- La civilisation- La culture- L'Emir Abdelkader- Algérien

Summary:

This study introduces novel critical approaches to comprehending Emir Abdelkader's poetry by drawing upon a rich critical body of work characterized by diverse sources and perspectives, while employing cultural criticism as the primary methodology.
These approaches facilitate transcending the limitations of adhering to a single reading direction, thereby enabling a more holistic understanding of Emir Abdelkader's poetry and enriching the critical landscape with fresh viewpoints on this body of work.The study sheds light on the underlying mechanisms of the system's operation and its influence on aesthetic sensibilities, contributing to a deeper appreciation of Emir Abdelkader's poetry and its role in articulating the civilizational ethos of his era. Overall, this study constitutes a valuable contribution to the understanding of Emir Abdelkader's poetry and opens avenues for further research and the study in this domain.

key words:
- Pattern- Civilization- Culture- Emir Abdelkader- Algerian